ORIENTAL .MA
المجلة الإخبارية لوكالة جهة الشرق
العدد 24 فبراير 2022

التدبير الناجع للموارد
رؤية جديدة لهندسة مساحاتنا الخضراء

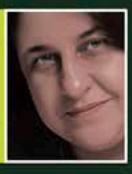

ملف
إيمانيات المهنة وتصور المنتزه الإيكولوجي لوجدة
سمية الصمدي دكتورة في هندسة وتصميم المشاهد الطبيعية مهندسة معمارية وخبيرة استشارية
15

سيدي معافة، الغابة التي تشرف على وجدة وتضع المدينة في تماس مباشر مع الطبيعة
يوسف حموزكي مهندس دولة، المدير الجهوي للمياه والغابات لجهة الشرق
58

حوار
مع السيد **سعيد زرو** الرئيس المدير العام لشركة مارشيكا ميد
41

هدف واضح ببركان :
تخصيص 355 هكتار للمساحات الخضراء
حورية المديوني رئيسة مصلحة البيئة والاستراتيجيات وبرامج التنمية - عمالة إقليم بركان
66

«نص دستور *2011* للمملكة المغربية على الحق في السكن، الذي يرتبط أيضا بالحق في الماء والبيئة السليمة، والرعاية الصحية، والحماية الاجتماعية. وقد تمكنا من تحقيق العديد من المنجزات في هذا المجال، بفضل إرادتنا السياسية واعتماد مقاربة تقوم على ترصيد منظومة الحقوق وتعزيز الإدماج الحضري.

كما انخرطنا في سياسة تنموية حضرية مستدامة وشاملة، من خلال تعزيز التنمية البشرية، والتماسك الاجتماعي والمجالي. كما عملنا ضمن مقاربة استكشافية واستباقية، على وضع سياسة حضرية وطنية متجددة، وعلى تنفيذ سياسة المدينة التي اعتمدناها في *2012*».

مقتطف من الرسالة السامية التي وجهها صاحب الجلالة إلى المشاركين في أشغال المنتدى الوزاري العربي الثاني للإسكان والتنمية الحضرية بالرباط، يوم 21 دجنبر 2017

الفهـــــرس

بانوراما

منتخبون، مؤسسات ومجتمع مدني... المساحات الخضراء تسائل كل الفاعلين

مع خالد نبيل
مهندس معماري، متخصص في التخطيط الحضري

5

علامات

واحة وبساتين فكيك : أخضر مرتب وأصفر ذهبي من أجل الإغواء
مع جمال حدادي
أستاذ باحث، كلية الآداب، جامعة محمد الأول، وجدة

62

هدف واضح ببركان : تخصيص 355 هكتار للمساحات الخضراء
مع حورية المديوني
رئيسة مصلحة البيئة والاستراتيجيات وبرامج التنمية – عمالة إقليم بركان

66

افتتاحية

التدبير الناجع للموارد المائية أساس هندسة مساحاتنا الخضراء 4
محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق

علامات

إحداث وتدبير المساحات الخضراء، قضية كل الوجديين 7
علي خروبي
صحفي

المنتزه الإيكولوجي والترفيهي : الرئة الخضراء لمدينة وجدة 11
سناء الرشدي
دكتورة في البيولوجيا - جامعية

ملف

إيمانيات المهنة وتصور المنتزه الإيكولوجي لوجدة 15
سمية الصمدي
دكتورة في هندسة وتصميم المشاهد الطبيعية
مهندسة معمارية وخبيرة استشارية

تركيز

منتزه للأ عائشة، الفضاء البلدي لوجدة، أنشطة ترفيهية متعددة 23
علي خروبي
صحفي

منتزه للأ مريم، حديقة نباتات، وعمل تشكيلي... وسياسي 27
عبد النبي الكتوي
فنان تشكيلي من جهة الشرق

أشجار التصفيف لمدينة وجدة 30
نور الدين كودان
جامعي، أنجز دراسات مخصصة للثروة الحضرية من الأشجار

إضاءة

المساحة الخضراء بالمدينة، احتياج قوي وتاريخي للنفسية الجماعية 33
فيليب ميشيل
مهندس ومستشار في التواصل

زوم

منتزه للطيور على بحيرة مارشيكا، ملتقى الطيور المهاجرة 38
سعيد أزواغ
منسق الوحدة الجهوية لمجموعة البحث لحماية الطيور بالمغرب / جهة الشرق

علامات

حديقة الجامعة العربية، فضاء تاريخي ونقطة اجتذاب جديدة للدار البيضاء 42
عزيز ضيوف
صحفي

المبادرة والتسيير الخاص في خدمة حديقة تاريخية خلابة وروحانية بمراكش 46
محمد مقدم
مهندس معماري

سيدي يحيى، «مول النخلات» اعتبارا لنخيله، منتزه غاية في التميز 51
أيمن زيزي
مدير وكالة موتيفنكو، مهتم بمجال الثروة الطبيعية

تحويل الغابات الحضرية والغابات المجاورة للمدن لفضاءات ترفيهية بمناظر طبيعية 54
محمد الخلوفي
رئيس مصلحة، المديرية الجهوية للمياه والغابات بجهة الشرق

سيدي معافة، الغابة التي تشرف على وجدة وتضع المدينة في تماس مباشر مع الطبيعة 58
يوسف حموزكي
مهندس دولة، المدير الجهوي للمياه والغابات لجهة الشرق

Oriental.ma
مدير النشر : محمد امباركي
سكرتيرة التحرير : سعيدة مأهر • التصميم والإنتاج : TOPIC • التنسيق في عين المكان : علي خروبي
الترجمة إلى العربية : أبدر المريني • الإشراف على الترجمة : الكبير حنو
رقم الإيداع القانوني : 2018PE0068 • ISSN : 2657-2788 • وكالة جهة الشرق : 13، زنقة محمد عبدو، 60 000 - وجدة
الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+) • الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+) • الموقع : www.oriental.ma

لا تلزم الآراء المنشورة إلا أصحابها

إفتتاحية

التدبير الناجع للموارد المائية
أساس هندسة مساحاتنا الخضراء

عرف النمو الحضري ببلادنا منذ عقود، هيمنة السكن الاقتصادي وتبليط الساحات العمومية التي ترافقه. وإذا كان هذا الأمر قد ساهم في تدارك العجز الحاصل في مجال السكن الاجتماعي، فإنه أنتج أيضا أحياء أكثر هشاشة، تفتقد في معظم الأحيان للمساحات الخضراء التي تضفي على المدينة رونقا وجمالا. ذلك أنه بوجدة، كما بغالبية مدن أخرى، لم يسمح القطاع العقاري بترك المجال الكافي للمساحات الخضراء، والتي غالبا ما كانت مرتقبة بفضاءات ثانوية.

ومنذ اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، عرش أسلافه الميامين، أعطيت عناية خاصة للفضاءات العمومية الحضرية ولإطار العيش بمدننا. فقد تم مثلا بوجدة سنة 2016، إنجاز «منتزه إيكولوجي»، باعتباره أول فضاء ترفيهي بهذا الحجم يقام بالمدينة منذ الاستقلال، في منطقة تعرف تحضرا كبيرا. إن هذا الفاصل في النمو الحضري تم تصميمه للترفيه، كفضاء إيكولوجي كبير : أصناف نباتية ملائمة، طاقة شمسية، سقي بالتنقيط، ربط بمحطة تصفية المياه المستعملة... وهو الأمر الذي يجعل من هذا التجهيز نموذجا للاستدامة، دفع بنا لنشر هذا العدد في الظرفية الراهنة. فهو يأتي بالضبط، بعد التوجيهات الملكية السامية المتعلقة باقتصاد الماء، التي أنارت الطريق لوضع مخطط استعجالي من طرف الحكومة، قصد مواجهة الآثار الناتجة عن تأخر التساقطات المطرية خلال السنة الحالية.

ومع ذلك، فالمساحات الخضراء لم يتم حظرها ! بل علينا تصورها بذكاء للرفع من نسبة المساحات الخضراء بالنسبة للفرد الواحد. وفضلا عن نماذج المنتزهات الشهيرة، يوضح هذا العدد استعانتنا بإبداع مهندسين معماريين شباب ومشكلي المشاهد الطبيعية للمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، مؤَطرين من طرف أستاذتين، بهدف التجديد والابتكار في هذا الميدان. وتُظهر المنتزهات التي تم تقديمها، تشكيلة عريضة من أصناف الحدائق، تم اختيارها عبر العالم بحكم تنوعها وطابعها المتميز.

إن المنتزهات والحدائق المغربية، تُشكل اليوم امتدادا لتقاليد، ومعارف ضاربة في عمق التاريخ، مستخدمة تكنولوجيا متطورة تساهم في تحسين استغلالها وصيانتها. ويمكن هذا الطابع التاريخي، الذي يقويه باستمرار الإبداع والأسبقيات المجتمعية المتجددة، من إدراج المنتزهات العمومية للمملكة ضمن مظاهر النموذج الجديد للتنمية التي تحدد القيم بمدننا ومحيطها.

إن جهة الشرق أصبحت اليوم تضم تقريبا، كل أشكال الحدائق والمنتزهات. ذلك أن فكّيك وواحات جنوب الجهة، تعتبر مدنٌ حدائق تزدهر فيها الأغراس تحت ظلال نخيل مثمر، تتقاسمان أنساق الري التاريخية التي مازالت قائمة ومستعملة إلى يومنا هذا. والناظور تقترح على بحيرة المارشيكا، أكبر منتزه للطيور بمحيط البحر الأبيض المتوسط، في موقع مثالي، على الممر الذي تسلكه الطيور المهاجرة القادمة من أوروبا. وتنظر وجدة بعشق لحديقة للاَّ عائشة التي فتحت أبوابها للزوار سنة 1930 كمكان للتنزه، والتي أصبحت اليوم تضم أيضا تجهيزات رياضية وترفيهية. وعلى طول الأسوار، تبسط حديقة للاَّ مريم الهدوء والسكينة، ومسرح الهواء الطلق ومتحف للأسلحة التقليدية.

فمن أجل مدن خضراء، تدعم وكالة جهة الشرق، الانجازات الجديدة والمشاريع المبتكرة لمواكبة الجماعات الترابية، كما هو الحال بالنسبة لتاوريرت، في إطار برنامج «تعزيز الهويات الحضرية». كما ستساهم المساحات الخضراء الحضرية في إبراز حياة مدنية جديدة، لأن عمليات التهيئة الحالية، تحيي تقاليدنا العريقة بطابع عصري.

محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق

منتخبون، مؤسسات ومجتمع مدني... المساحات الخضراء تسائل كل الفاعلين

خالد نبيل
مهندس معماري،
متخصص في التخطيط الحضري

في مجال المساحات الخضراء، تعرف مدن الجهة عجزا كميا وضعفا على صعيد مراحل الانجاز (القرار، التصور، التمويل، الصيانة...). ويمكن أن نقتصر على هذا التشخيص، ولكن أيضا أن نظهر بأن سبلا أخرى ممكنة، وتؤدي إلى أنساق تصَورٍ مختلفة، ومفاهيم مبدعة جديدة... تؤدي في الختام إلى مشاريع مبدعة ومتميزة. هذه التجديدات الممكنة عليها أن تسائل الإدارات والمؤسسات العمومية لكي تهتم بها.

منح إنشاء المنتزه الإيكولوجي لوجدة الفرصة لإعطاء الانطلاقة ومباشرة حوار بهذا الشأن. وقد أظهرت المبادرة التي بادرت بها وكالة جهة الشرق بأن الاعتماد على الخبراء (قد يتعلق الأمر هنا فقط بالطلبة المهندسين للمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية) يسمح بإبراز قراءات مختلفة ومتنوعة من حيث التيمات وكذا من حيث المعالجة، وبالخصوص متميزة من حيث مقارباتها. ومن هذا المنطلق، تبدأ في الارتسام في نهاية الأمر حلول مبدعة، وجديدة وجذابة[1].

التوجيهات الملكية تنير الأهداف الواجب تحقيقها وتضع فلسفة العمل

لا يطرح وضع المنتزه الإيكولوجي الترفيهي لوجدة اليوم مشكل الارتياد في حد ذاته، ففي نهاية كل أسبوع، تملأ الأسر المنتزه بصياح الأطفال ويتم بالتالي استعمال كل تجهيزاته بشكل مكثف.

وقد نعتبر ذلك نجاحا ذاتيا مستحقا للمنتزه، ولكن قد نعتبره أيضا ناتجا عن ضعف في البدائل المتوفرة لمواطني وجدة، وخاصة الآباء الشباب منهم. وفي المقابل، في المقال المخصص للمساحات الخضراء لمدينة وجدة[2]، يُمْكن قياس الفقر الكمي الإجمالي للعرض ويتم التعرض لأسبابه. وهذا الفقر هو بالحجم الذي يجعل النقائص النوعية نقائص لا تظهر. وفي الواقع، فقد تحول على مر السنين عدد من المشاريع الكبيرة التي كانت ممكنة إلى مشاريع عقارية، في حين أن المساحات الخضراء على مستوى الأحياء ما فتئت تتقلص.

في النهاية وعموما، فإن نسبة المساحة الخضراء لكل مواطن تناقصت سنة بعد أخرى حتى أصبحت نسبا سخيفة.

وتمثل بركان الاستثناء. هنا تم بناء إستراتيجية على فترة عشرة سنوات، وتم إشراك شركاء في إعدادها وتمويلها، كما تم تحديد أهداف طموحة منذ البداية. وقد تم توقع الحاجيات البشرية واللوجيستيكية.

في واقع الأمر، تنمو المساحات الخضراء الحضرية وكذا نوعها وجودتها (من حيث التصميم والمغروسات الجديدة من الأصناف المناسبة والتجهيزات، الخ.)، بالاستناد على البعد الإيكولوجي للنهج. وتُبرز بركان إذا أنه بالإمكان عكس المنحى الذي استمر لعشرات السنين.

والتوجيهات الملكية في هذا المجال واضحة وتُثمِن مفهوم «الاستدامة»، الذي يعني، بالنسبة للمدن «بيئة قابلة للعيش» عبر انتقال إيكولوجي وطاقي حتى تتمكن التنمية الاقتصادية والاجتماعية من الحفاظ على إمكانية تلبية حاجيات الأجيال القادمة.

و«الاستدامة» هي بالفعل أحد مفاتيح التنمية التي تسعى إليها المملكة. وبفضل العديد من الوظائف التي تؤمنها، فإن المساحات الخضراء هي بالطبع من بين هذه المفاتيح بشرط أن تكون بالأعداد الكافية وبتصميم ملائم.

تحفيز التفكير، وإسناد المبادرات ودعم الإنجازات

تشكل وكالة جهة الشرق، حسب مقتضيات القانون المؤسس لها، قوة اقتراحية، وتعمل دائما على دعم مشاريع «التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمجموع التراب الجهوي، وهي واعية تماما بإشكالية المساحات الخضراء الحضرية التي أصبح يشار إلى طابعها الاستعجالي في كل مكان. وهكذا، فإن الدعم المالي للعديد من الإنجازات الكبرى مكنها من أن تتحقق على أفضل وجه. وفي هذا العدد الخاص من مجلة Oriental.ma رقم 24، يتم استعراض عمليات رئيسية، وخاصة بجهة الشرق، مع مقارنتها بإنجازات بمناطق أخرى بالعالم، حتى يتم إبراز مدى تغير الظروف التي تؤدي إلى إنشاء مساحات خضراء شاسعة ذات التيمات العديدة والمتنوعة.

تفضي هذه التدخلات إلى إنجازات غاية في التنوع وتمدد غالبا التاريخ المحلي في الأماكن التي تتم بها. وهذا التجدر في الذاكرة الجماعية يخلق انخراطا في آن واحد عقلاني وعاطفي، بقدر ما هو رشيد وثقافي، من طرف الساكنة المحلية.

وفضلا على ذلك، فإن هذه الأصالة وهذه الحمولة التاريخية تجتذب الزوار الأجانب.

المغرب غير مستثنى من النماذج المبدعة مقارنة مع عصرها.

وهكذا، يتم اليوم، باحترام كبير للتصورات الأولى، إعادة الاعتبار وترميم بعض المنجزات التي تعود إلى حقبة الحماية، كحديقة الجامعة العربية بالدار البيضاء[3] أو حدائق ماجوريل بمراكش[4].

ويمكن أيضا التركيز على حالة حي الرياض بالرباط، وهو إنجاز أصبح يعتبر اليوم مرجعيا، والذي صَمم وطَور فيه الساهرين على إنجازه، التصميم المديري للمغروسات، وهي وثيقة لم تكن معروفة من قبل، في فترة كانت فيها عملية الغرس اختصاص حصري للجماعات الترابية[5].

أولا، تقاسم التجارب ونشر المعارف

يعود أصل الصعوبات الجهوية أساسا إلى أنواع الخصاص المختلف في المهارات. والجوانب الأولى المعنية تبدأ دون شك بمجالات إعداد القرارات والتصورات. ومن أجل تجاوز هذه الصعوبات، تعتبر التوعية وتوفير المعلومات والخبرات من العناصر الهامة. وهذا النهج المرجو يمكن، بل يجب، أن يشمل كل المتدخلين الذين يساهمون في العمليات التي تؤدي إلى إنشاء، أو إعادة الاعتبار أو صيانة المساحات الخضراء الحضرية.

وهذا العدد الخاص من المجلة هو خطوة في هذا الاتجاه.

1- انظر المقال «إيمانيات المهنة وتصور المنتزه الإيكولوجي لوجدة »، بقلم سمية الصمدي، الصفحة 15 فيما يلي.

2- انظر المقال «من إنشاء إلى تسيير المساحات الخضراء، شأن كل الوجديين»، بقلم علي خروبي، الصفحة 7 في ما يلي.

3- انظر المقال «حديقة الجامعة العربية، فضاء تاريخي ونقطة استقطاب جديدة للدار البيضاء»، بقلم عزيز ضيوف، الصفحة 42 في ما يلي.

4- انظر المقال «المبادرة والتسيير الخصوصيين في خدمة حديقة تاريخية، خلابة وروحانية بمراكش»، بقلم محمد مقدم، الصفحة 46 فيما يلي.

5- انظر مؤطر هيئة التحرير بعنوان «حي الرياض بالرباط، حدائق العاصمة»، الصفحة 36 في ما يلي.

إحداث وتدبير المساحات الخضراء، قضية كل الوجديين

علي خروبي
صحفي

وجدة هي عاصمة جهة الشرق، حاضرة اقتصادية وإدارية كبيرة. وبالتالي عليها أن تحتل المكانة التي تناسبها وتبرز جاذبيتها. وسكانها هم أول من ينبغي أن يستفيدوا من حياة هنيئة ومن مستوى وطريقة عيش جيدين، ليكونوا خير سفراء لها. تُعتبر المساحات الخضراء الأنيقة والشيقة المخصصة للترفيه والاستجمام والمفتوحة أمام الجمهور، عوامل مجتمعية للانسجام، للمواطنة وللثقافة الإيكولوجية. فلا حداثة حضرية بدون هذه العوامل.

منذ منتصف ستينات القرن الماضي، عرفت مدينة وجدة تمددا كبيرا لمحيطها الحضري.

سياسة حضرية لإنجاح الرهان البيئي

قبل ثلاثين سنة تقريبا، كانت مدينة وجدة وما تزال تشتهر كثيرا بتنوع استغلالاتها الفلاحية المجاورة مما كان يمنحها بشكل شبه تام صبغة مدينة خضراء قبل الوقت، مدينة هادئة ومتناغمة. هذه الصورة الشائعة في الأدبيات، لم تكن تأخذ بعين الاعتبار بطبيعة الحال، التحولات التي سيشهدها المجتمع المغربي من بعد. وسوف تتعرض المدينة بعنف لنتائج التمدن المتسارع، وستشهد بصورة عشوائية وعلى حين غرة، ظهور أحياء جديدة على حساب التوازن السابق بين ما هو مبني والمساحات الخضراء، هذا التوازن الذي استطاع السابقون توفيره والمحافظة عليه.

إن عاصمة جهة الشرق، التي يعود تاريخ إنشائها إلى ألف سنة، والتي أصبح تعداد سكانها يبلغ 500 000 نسمة، تعكس صورة مدينة تتصحر بفضل أو بسبب العديد من العوامل. فالتحولات، على النقيض من سياسات التأهيل وجهود الانتعاش الحضري والعقاري، لم تأتي بالترابط المنطقي عبر النماذج الحضرية. فماذا ينبغي فعله من أجل عكس التوجه وإدراج الرؤية البيئية ضمن الأهداف والجهود المبذولة والميزانيات المخصصة، حتى تصبح وجدة عاصمة حقيقية مزدهرة حيث تحلو الحياة ؟

الأحواض المغروسة لحديقة للاّ عائشة

في وسط المدينة، تمثل المساحات الخضراء أماكن رائقة للتنزه والمتعة

والإجابات بهذا الخصوص متعددة، لأن البدائل هي أيضا عديدة. غير أنه ينبغي أن تستند على معرفة دقيقة بالتراث النباتي للمدينة، وعلى إدخال أصناف جديدة تزيينية، وعلى أخذ التغيرات المناخية ورغبات السكان بعين الاعتبار. وقد أحصى الجرد الذي تم على ضاحية المدينة 042 1 هكتار من الغابات، ولكن المدينة لا توفر لسكانها إلا حوالي 100 هكتار، تتوزع بين الغابة الحضرية (تشجير)، وحافات، وحدائق وتجهيزات رياضية.

تتوفر وجدة أيضا على 120 كيلومتر خطي من أشجار التصفيف. وفي المجموع، يمثل التراث الأخضر للمدينة مساحة تقل عن 16% من المساحة الإجمالية مع خصاص يبلغ 500 هكتار، ينبغي سده من أجل احترام المقاييس المعمول بها اعتياديا.

ويتطلب تدارك هذا التأخير تدخلات موزعة زمنيا من أجل إنجاح التجانس الإيكولوجي المرجو. من جهة أخرى، عرفت المدينة نموا بنسبة 75% من مساحتها خلال السنوات الخمسين الأخيرة، ولكن نسبة مساحة المساحات الخضراء على عدد السكان ما فتئت تتقلص.

هكذا، انتقل التراث الأخضر بوجدة من 37,9 هكتار في بداية القرن العشرين إلى أزيد من 100 هكتار اليوم، أي بزيادة تفوق 50%. «*ومع ذلك، فإننا نلاحظ ترديا في هذا القطاع بالمقارنة مع التطور العمراني للمدينة*»، كما يوضح نور الدين كودان، وفاء المختاري وزكرياء مصيليح، الباحثين الجامعيين والمهندسين في مصلحة المساحات الخضراء لجماعة وجدة.

المساحات الخضراء لوجدة في أرقام...

حسب الخبراء، انتقلت النسبة بين المساحات المعالجة كمساحات خضراء والمساحة الإجمالية للمدينة من 0,06 إلى 0,01% وانزلقت نسبة المساحة الخضراء للساكن الواحد من 4,75 إلى 1,93 متر مربع، أي أنها تقلصت بأكثر من مرتين. ويعد النمو الديمغرافي والهجرة القروية ونقص الإحساس والاهتمام بالمساحات الخضراء، بعضٌ من العوامل المفسرة الأساسية لهذا التدهور.

وفي المقابل، فإن أغراس التصفيف توجد في تطور ملموس، خاصة في السنوات الأخيرة. فقد تضاعف طولها مرتين تقريبا، مما يترجم رغبة حقيقية في تنمية هذا النوع من المساحات الخضراء، خاصة على طول الطرق الجديدة.

إن معاينة تصميم المدينة تعطي انطباعا بفضاء إسمنتي وقاحل بشكل عام، مما يبرز اختلالا بين نمو البناء الحضري وتواجد امتدادات خضراء، وليؤكد نقائص التخطيط بالمدينة. هكذا، فإن وسط المدينة الذي تتمركز فيه أغلبية المساحات الخضراء، هو بالخصوص من انجازات فترة الحماية.

وهي مساحات بأعداد قليلة جدا، لكن مساحتها هامة جدا، في حين أن الحدائق الجديدة، ذات المساحات الصغيرة، هي مبعثرة في أحياء سكنية جد مكتظة.

في الواقع، يبدو أن مساحة كل نوع من الفضاءات الخضراء بالمقارنة مع العدد الإجمالي للسكان وافرة. وتمكن دراسة تصنيفية لهذه المساحات من تمييز :

- 200 6 م^2 من مفترقات الطرق المغروسة ؛
- 991 2 م^2 من الساحات الكبرى أو الفسحات ؛
- 922 189 م^2 من حدائق المرافقة ؛
- 150 43 م^2 من حدائق السكن الجماعي ؛
- 570 61 م^2 مخصصة للحدائق العمومية ؛
- 000 160 م^2 معالجة كمنتزهات ؛
- 200 م^2 كمواقف سيارات مغروسة ؛
- 600 99 م^2 بالنسبة للمشاتل ؛
- 947 15 م^2 من الساحات العمومية ؛
- 900 8 م^2 مكونة من ملاجئ المحاور الطرقية ؛
- 500 1 م^2 من الحدائق الصغيرة.

وهذا يفضي إلى مجموع 65 هكتار بإضافة الانجازات الجديدة. ودائما حسب الدراسة المنجزة من طرف الباحثين الثلاثة المذكورين، والتي قدمت في الندوة التي نظمتها كلية العلوم لجامعة محمد الأول بوجدة تحت إشراف البروفسور عزوز بوكروت، فإن التراث النباتي لوجدة تهيمن عليه المنتزهات وحدائق المرافقة، في حين أن الحدائق الصغيرة التي تعتبر تجهيزات مهمة بالنسبة للمواطنين، لا تمثل إلا 2% من مجموع المساحات الخضراء. وكذلك الأمر بالنسبة للفسحات ومفترقات الطرق والساحات العمومية ومواقف السيارات، التي تمثل عادة نقطا هامة في تهيئة وتزيين الوحدات المعمارية والتي توجد حاليا في حدها الأدنى.

ولكن وجبت الملاحظة أيضا بأن المائة هكتار من المساحات الخضراء المشتتة بالمدينة لا تستجيب لكل التطلعات الإيكولوجية لساكنة وجدة.

الساحات المزخرفة ذات الأغراس المصانة بعناية تميز بالخصوص وسط المدينة التاريخي

أهم الأصناف التي تم جردها في مدينة وجدة

شملت الدراسة التي أنجزها السيدان ميريني وبوكروت سنة 1996، 042 5 شخصا. وهي تنتمي إلى 15 فصيلة موزعة على 22 صنفا، أهمها :

- فصيلة كاسالبينيويدس (césalpinoidées)، بأزيد من 36% من مجموع الأعداد، وتتكون من أشجار وشجيرات (منها شجرة الخروب). وهي تتواجد بوفرة في المناخات الاستوائية وتستعمل من أجل التزيين في محيط البحر الأبيض المتوسط حيث تُوفر ظلالا مستحبة ؛
- فصيلة البطميات (anacardiacées)، التي تمثل 22% من مجموع الأعداد، والتي يتمثل صنفها المعروف أكثر دون شك في شجرة الفستق المتواجدة بكثرة في المناطق المعتدلة، ومنها بالخصوص البلدان المتوسطية ؛
- فصيلة النخيل (palmacées)، بزهاء 15% من المجموع، أو أريناسي (arénacées)، التي تضم أصناف النخيل التي ترمز للطبيعة المتوسطية والاستوائية ؛
- فصيلة السذبيات (rutacées)، بحوالي 9% من أشجار التصفيف، وهي تضم بالخصوص أشجار الحوامض، الشهيرة بمنطقة الشرق. وتمثل هذه الفصائل أكثر من 82% من الأنواع المغروسة.

ويعتبر أقل من مترين مربعين للفرد مساحة دون المستوى المطلوب. ويقدر الخصاص الذي يجب تداركه بـ 500 هكتار، ينبغي إنجازها بشكل متوازن مع توزيع مجالي أفضل، وتركيز الجهود أيضا على الأحياء المفتقرة لهذه المساحات، إلى جانب تفضيل أنواع المساحات الخضراء التي لم يتم الارتقاء بها. ويمكن تخفيف هذا النقص عن طريق تعزيز الجهود في مجال الأشجار التصفيفية. وتعتبر أشغال تقييم جنبات واد إسلي مثالا نموذجيا يجب تعميمه.

من يسير ماذا ؟ وبأية وسائل ؟

فيما يخص تسيير المساحات الخضراء، فإن البلدية هي المسؤولة عنها.

وهي تحرص على إشراك المجالس المنتخبة الأخرى، مثل مجلس العمالة والمجلس الجهوي اللذان يعود إليهما الفضل في إنشاء وصيانة المساحات الخضراء. ويبقى من الضروري تنسيق التدخلات وتأمين وسائل تمويل قارة.

ويعبأ التمويل ثلاث بنود في الميزانية : اقتناء النبتات والبذور وصيانة المساحات الخضراء وتجديد المعدات الصغيرة.

ويتم تأمين الموارد المالية الرئيسية بواسطة الميزانية العامة للجماعة، وهذا المصدر يمثل نسبة 1% من ميزانية التسيير، في حين أن مذكرة وزارية تحبذ نسبة 7 إلى 10% من هذه الميزانية. يتم تعزيز هذا المورد بواسطة مساهمات خارجية، كمساهمة وكالة جهة الشرق بالنسبة للمَدْخلَيْن الغربي والشمالي للمدينة أو بالنسبة للطريق الدائرية.

السياسة الإيكولوجية الشاملة والميثاق الإيكولوجي

من أجل ضمان تنمية ملائمة للمشهد الطبيعي، فإن معطى بيئيا جديدا قد يفرض إجباريا اللجوء إلى مقاربة شاملة. كما أن المحافظة على توازن معقول بين الفضاءات الطلقة والمبنية، لا يمكن أن تفضي إلى نتائج دون تنسيق بين السلطات المحلية والمجالس المنتخبة والوكالة الحضرية ووداديات الأحياء والجمعيات، التي تعمل في مجال استدامة العمليات البيئية. إنه أمر لا مناص منه للتحكم في توسع الإسمنت والزفت بطريقة توافقية وبدعم من السكان، ولكن أيضا من أجل إرساء سياسة ينبغي أن تتم حول مطلبين.

المطلب الأول، يتعلق برؤية على المدى الطويل بوضع ميثاق إيكولوجي للحاضرة يسطر معالم تأهيل مستقبلي للمدينة، ويحترم البيئة وتوجيهات التهيئة الترابية الضرورية من أجل إعداد مدينة الأجيال المقبلة، ولكي يؤمن في نهاية المطاف حياة مريحة بوجدة، مع الشعور بأن الحياة السعيدة القادمة هي على الأقل بنفس قيمة الحياة السعيدة الحالية. وسيكون بوسع كل المتدخلين أن يضعوا في إطار هذا الميثاق لِبنتهم في هذا الصرح.

أما المحور الثاني، فهو عملي ويركز على خمسة أولويات :

- إنشاء مساحات خضراء جديدة ؛
- صيانة المساحات الخضراء الموجودة ؛
- تنمية الأدوات القانونية، بتصميم وتنفيذ خطة لاستغلال الأراضي ؛
- تنمية الوسائل المالية برفع الميزانيات المخصصة للمساحات الخضراء، مع التأقلم مع التوجهات المعتمدة ؛
- إرساء مواطنة إيكولوجية لترسيخ مسؤولية المواطن.

إن حماية المساحات الخضراء ليس فقط من اختصاص الإدارة. فهي تسائل أيضا الذين يستفيدون من هذه المساحات لراحتهم واستمتاعهم وعلى قاطن المدينة أن ينخرط في المحافظة وخلق وصيانة المساحات الخضراء.

وتؤسس هذه القناعة ضرورة ورجاحة تطوير مواطنة إيكولوجية عبر مضاعفة المنتديات، والأيام الدراسية وحملات التوعية، دون أن نغفل إدراج مشاريع الإنشاءات الايكولوجية ضمن النظام التعليمي.

جوانب الأسوار، حيث تشكل المساحات الخضراء المنشأة قديما جسر انتقال للمدينة الحديثة

المنتزه الإيكولوجي والترفيهي : الرئة الخضراء لمدينة وجدة

سناء الرشدي
دكتورة في البيولوجيا
كليتا العلوم بوجدة وتطوان

يعتبر هذا المنتزه تقدما جهويا رئيسيا لأنه يحقق تجديدات لم تكن مفعلة سابقا بجهة الشرق، مما يخوله قيمته النموذجية والمرجعية. وهو يدمج بإحكام الاكراهات الحالية، المناخية كالانخفاض المتكرر للتساقطات المطرية، وخاصة بانتقاء الأصناف النباتية التي تمتص جيدا الغاز الكربوني. وهذا المسعى لا يعفي بتاتا من البحث عن التناغم والجمالية، بل بالعكس.

كان هذا المنتزه، الذي انطلقت به الأشغال في يناير 2016، يهدف إلى توفير فضاء أخضر وللاستراحة لفائدة ساكنة مدينة وجدة وإلى تدعيم الدور الاجتماعي للغابات الحضرية. وهو يهدف إلى تحسين ظروف عيش الساكنة المحلية، وإلى تعزيز الجاذبية السياحية للمدينة وإلى الاستجابة للمتطلبات الاجتماعية والإيكولوجية. وهكذا فإن هذا المنتزه يمثل رئة خضراء بالنسبة لوجدة وبئرا للكربون لا يستهان به.

نعمة إيكولوجية يتوجب الحفاظ عليها والاستفادة منها

بمضاعفة المساحات الخضراء، تنخرط جهة الشرق في التحدي الإيكولوجي، وهو متطلب لا مناص منه لتقليص زحف الإسمنت والزفت. حقا التحدي ليس باليسير، إلا أن التوازن الطبيعي ضروري لتدعيم جاذبية كل مدينة تسعى للانفتاح على المستقبل وعلى العالم في مملكة جعلت من الاستدامة خيارها.

التهيئة الطبيعية المتقنة تنتعش برنين المياه النابعة

لبلوغ ذلك، تعتزم المدينة تحويل مجالاتها المتدهورة إلى أماكن ذات جاذبية على مستوى المشاهد الطبيعية.

ويعد إنجاز أول منتزه للحاضرة، بالقرب من القطب التكنولوجي والعلامات الدولية، وتأهيل منتزه سيدي معافا (34 مليون درهم مستثمرة) وغرس أشجار حضرية للتزيين على طول 25 كيلومتر (24 مليون درهم من الاستثمار) من الانجازات المهمة التي ميزت العشرية الأخيرة.

وتعتبر هذه المشاريع حجر الزاوية للرؤية الإيكولوجية الجديدة لمدينة وجدة. وقد حددت هذه المشاريع كهدف نهائي أن تُوفر للمدينة حزاما أخضر للمساهمة في تلطيف مناخها وتخفيض التلوث، دونما إهمال معالجة البعد الجمالي للإنجازات. ويلبي تخطيط الملاجئ، وطبيعة الأشجار، وأنظمة السقي والمقاعد لمتطلبات التنمية المستدامة. «*لقد منحنا الأولوية لدراسة معمقة للمواقع بغرض تحديد مشاريع التزيين الطبيعي والأغراس المناسبة مع احترام الاكراهات المتعددة لمدينة تشهد تمددا سريعا ويواجهها نقص مزمن في الموارد المائية*»، كما يوضح ذلك مسؤول ترابي.

كما أن المقاعد وفضاءات الاستراحة تعتبر جزءا لا يتجزأ من أثاث حضري يسعى لأن يكون مريحا وشيقا. غير أنها تتطلب متابعة وصيانة دائمين أو منتظمين، على الأقل بالنسبة لبعضها. وفي إطار هذه المقاربة الإيكولوجية، أثار محورين اهتمام المتدخلين المختلفين :

- الأول يتعلق بتجميل مداخيل المدينة وجزء من الطريق الدائري على طول 35 كيلومتر ؛
- الثاني يتعلق بإنشاء منتزه ترفيهي جديد مخصص للنزهة، وللأنشطة الرياضية وللاستجمام، وهو عمل تؤمنه بالخصوص المجالس المنتخبة والولاية، بدعم مالي من طرف وكالة جهة الشرق في بداية المبادرة.

27 000 شجرة من مختلف الأصناف على مساحة 25 هكتارا

اعتبارا لساكنة تقارب نصف مليون نسمة، جزء منها تعرض للهشاشة جراء الأزمة، فإن الأمر الأصعب في إنجاز هذا المنتزه الترفيهي يتمثل

من بين تجهيزات المنتزه الإيكولوجي، توجد الإعدادات الطبيعية لتسهيل التنزه ومتعة قفص الطيور

دون شك في تقديم جزء هام من الخدمات والحفاظ عليها في مستوى جيد، علما أنه من الصعب والمكلف صيانة المنتزه باستمرار.

ويشتمل التراث الطبيعي للمنتزه الإيكولوجي على 27 000 شجرة من مختلف الأشكال والأصناف (الصنوبر، فستق الأطلس، خروب، شجر العنقاء، الخ.) وكذا حوالي ثلاثين من أصناف التزيين المتكونة من الأزهار والشجيرات المناسبة لمناخ الجهة.

كما أن الهكتارات الثلاثة من العشب الأخضر، والنافورات الثلاث، ونظام الإضاءة النوعي، والكيلومترات الثمانية للمسالك المحترمة للبيئة، وموقف السيارات الذي تتجاوز مساحته هكتارا واحدا، ومنشئات السقي (أحواض وقنوات يدعمها نظام للسقي بالتنقيط)، وقناة لجلب المياه المستعملة المعالجة (4,9 كيلومتر)، ومحطة ضخ الماء، وحوض للتخزين ووحدة تصفية وتعقيم المياه، تتطلب جهودا كبيرة لكي يتبوأ المنتزه مكانته كنموذج إيكولوجي مرجعي.

يعتبر هذا المنتزه أول منتزه يدرج الموارد غير التقليدية في السقي.

فقربه من محطة معالجة المياه المستعملة أمر حاسم لجعله معلمة لكل سياسات إعادة استعمال المياه المصفاة بجهة الشرق التي تعاني من ندرة المواد المائية ومن قلة التساقطات المطرية.

وتعتبر الـ 65 000 متر^3 التي تتم معالجتها يوميا من طرف محطة التصفية لوجدة نعمة بالنسبة للمساحات الخضراء. لكنها مع الأسف غير مستغلة بالشكل الذي يجعل من مدينة وجدة مدينة خضراء نموذجية، في الوقت التي تتبنى فيه العديد من مدن المملكة ممارسات أكثر إيكولوجية بتثمين مياهها المستعملة المطهرة.

إنه الحال بالنسبة للدار البيضاء التي أعطت الانطلاقة لطلب عروض من أجل إعداد دراسات تقنية وتتبع الأشغال من أجل إنجاز برنامج مندمج لإعادة استعمال المياه المستعملة المعالجة لسقي المساحات الخضراء.

يعتبر المنتزه الترفيهي بالنسبة للذين لهم حس إيكولوجي بمثابة رئة المدينة. كما أن العديد من الوجديين يجدون أنه مكان مفضل للاستراحة وإطار ملائم يستجيب لشروط هندسة الفضاءات الطبيعية. وهو يأخذ أيضا بعين الاعتبار الطابع الجمالي ويساهم في تعزيز الدور الاجتماعي للغابات الحضرية.

وتبقى الرغبة العامة هي أن تمثل هذه المنجزة واحة للاسترخاء وللمركزية الحضرية : أن تشكل مرجعة إيكولوجية في مجال إحداث أحزمة خضراء لتلطيف المناخ، وتقليص الآثار السلبية للتلوث وتوفير قيمة جمالية إضافية. كما يظهر ذلك تسطير الملاجئ، والاختيار الحصيف لأصناف المغروسات، وأنظمة السقي، والمقاعد... التي تستجيب لمتطلبات التنمية المستدامة. وينبغي أن يتم تشجيع هذه الجهود من أجل استغلال الموارد غير التقليدية.

مساحات للعب وأقفاص كبرى للطيور لرفع الجاذبية

تم إنجاز أشغال للتزيين لتدعيم جاذبية هذا المنتزه. وهكذا تم تعزيز أعمدة الإضاءة ومعدات لضخ المياه بواسطة الطاقة الشمسية لتأمين الألعاب المائية العائمة والإضاءة الليلية التي تمكن من تمديد فتح المنتزه إلى وقت متأخر خلال ليالي الصيف.

كما أن التجهيزات المخصصة للحفاظ على اللياقة البدنية وكذا الفضاءات المخصصة لألعاب الأطفال تؤمن سعادة كبيرة للصغار والشباب بالخصوص ولهواة الممارسات الرياضية المعية. والمعدات الموضوعة رهن الإشارة معدات ذات جودة، وقد تطلبت استثمارا بلغ 1,3 مليون درهم في إطار اتفاقية تجمع المجالس المنتخبة (المجلس الجهوي والمجلس المحلي) وولاية جهة الشرق. ومن أجل التنشيط والمتعة، يحتاج مقهى ومطعم بالمنتزه إلى من يتكفل بتشغيله. وتتويجا لكل هذا، فإن هذه المنجزة الهامة تحتاج إلى مدير جيد وإلى فريق من البستانيين، وزارعي أزهار وحراس متخصصين يحرصون على التفاصيل التي تميز الفضاءات الجذابة.

وهذا ليس كل شيء، لأن المنتزه يتوفر على قفص كبير يضم العديد من أصناف الطيور. وهذه القبة الخاصة بالطيور تقيم حياة متوحشة في قلب المنتزه، مما يجلب العديد من الفضوليين، وخاصة من الأطفال الذين يبحثون عن أحاسيس جديدة. والقفص، على شكل مكعب، يضم حوالي خمسين طيرا، منها طواويس، حمام، سماني وبط، الخ.

وانطلاقا من مجموع هذه المعايير والخصوصيات، فإن المنتزه الإيكولوجي الكبير لوجدة يطمح لأن يكون مكسبا هاما بالنسبة للمدينة لأنه يحترم المقاييس البيئية، والهندسية والمعمارية ويأخذ بعين الاعتبار الجانب الجمالي والإيكولوجي.

يوفر المنتزه الإيكولوجي أيضا ألعابا للأطفال الذين يعتبرون هدفا متميزا بالنسبة لهذا المنتزه

حدائق سنغافورة «المدينة - الدولة» تضاعف الإنجازات الإيكولوجية من أجل رفاهية وراحة الساكنة والزوار

تسمى أيضا «الحدائق النباتية الملكية»، وهي تشكل الرئة الخضراء للمدينة. هنا تم غرس أشجار المطاط الأولى بالقارة الأسيوية. في قلب المدينة، تغطي الحدائق النباتية 47 هكتار من الأراضي التي يتعذر اقتناؤها، والمثيرة للأطماع أنها تعد من بين الأكثر كلفة في العالم. وقد صُنف المجموع ضمن التراث الإنساني العالمي من طرف اليونسكو منذ 2015. من بين المعالم البارزة الأكثر اجتذابا، نجد المساحات الواسعة المغطاة بالعشب الأخضر المخصصة للنزهة ووادي النخل والأشجار الاستوائية والأحواض المزدانة بأزهار اللوتس وستة هكتارات من الغابة الابتدائية حيث تتجاور أشجار التين الخانقة والبانيان.

تظل جوهرة هذه الحدائق مجموعة أزهار الأوركيدا، بأكثر من 1 000 نوع (و2 000 زهرة هجينة) من مجموع 60 000 نبتة.

إنها مجموعة متعددة الألوان والزخرف... تجعل الناظر يعجز عن الإلمام بها.

وبمكان أبعد، تبدو حدائق الخليج كبيرة ولا محدودة. 50 مليون زائر ارتادوا هذه المعلمة الطبيعية منذ إنشائها والتي تغطي مساحة 101 هكتارا. بشكل اصطناعي، تعرض هذه الحدائق 250 000 نوعا من النباتات النادرة، معظمها مهدد بالانقراض، ونبتات من بين الأكثر رمزية وروعة في العالم. هنا، 18 شجرة عملاقة (50 مترا من العلو)، مزودة بالطاقة الشمسية تشرف على المنتزه. وهي مرتبطة مع بعضها بواسطة معابر. كما يمنح شلال من 35 متر تحت قبة حيويةَ بيئةٍ استوائية وافرة النبات والأزهار المختلفة التي تجد الوسط الملائم لتكاثرها. والولوج لكل هذه الحدائق مجاني.

رواق الموسيقى للحدائق النباتية

حدائق الخليج

مؤطر لهيئة التحرير

إيمانيات المهنة وتصور المنتزه الإيكولوجي لوجدة

سمية الصمدي
دكتورة في هندسة وتصميم المشاهد الطبيعية
مهندسة معمارية وخبيرة استشارية

تعالج كاتبة المقال المشاهد الطبيعية كفنانة تشكيلية، كما هو الشأن مع لوحاتها. وبصفتها مهندسة معمارية، تدرس انتظارات صاحب المشروع وتطلعات السكان وأيضا تاريخ المجالات الترابية وعلاقاتها الماضية والحالية بأماكن تدخلاتها. وبهذا الشكل، فإن المساحات الخضراء للمجمعات الحضرية القديمة أو الجديدة لا تكون أبدا دخيلة على الطبيعة التي تحتضنها.
فمن خلال تجربة الورشة التي نظمت بوجدة، بمبادرة من وكالة جهة الشرق والتي شارك فيها طلبة في الهندسة المعمارية، نكتشف هنا نهجا مهنيا لجعل مدننا أكثر متعة وقابلية للسكن.

طوال العقدين الأخيرين، برزت إشكالية إلى حد أنها أصبحت أساسية، تهم تدبير المجال. ففي المناطق الحضرية كما في العالم القروي، أصبحت المساحات الخضراء والمشاريع المستدامة تحظى باهتمام وعناية كبيرين لتعزيز صورة المغرب الأخضر. وبالتالي، فإن قضية المشهد الطبيعي تفرض نفسها بحدة في الرؤية السياسية.

سعيي كمهندسة معمارية ومخططة مشاهد طبيعية نابع من إيمان

حرصا مني على الوضع المعيشي لبلدي ومستقبله، وبحكم شغفي بالحوار بين الهندسة المعمارية والمشهد الطبيعي، فإن دوري كمهندسة معمارية ومخططة للمشاهد الطبيعية يتمثل في تحمل قسط من المسؤولية للعمل بشكل أفضل والمساهمة في حل هذه الإشكالية الكبيرة المتعلقة بنوعية التفكير والممارسة التي ينبغي تبنيها بالنسبة للمغرب.

ومن أجل ضبط الإشكالية وضمان إطار حياة إنسانية، أركز كل أنشطتي حول هذه القضية مع الأمل أن أرى وقعها، وقيمتها المضافة وتثمين مكانتها بين البحث، والتطبيق والمسار المهني. في مساري المهني أعيش نوعا من الفوران، بتصور وتحديد دقيق للعمليات التي تستجيب للإشكالية الحقيقية للفكر المشهدي الطبيعي بالمغرب، خاصة مسألة الحياة الهنيئة، والتي تتوقف على فهم جيد للمشهد الطبيعي ولدور المتدخلين في المعيش اليومي للإنسان على وجه البسيطة. وقد كانت نقطة البداية الماجستير المهني الأوروبي، حيث اكتسبت دروسا تتعلق بالمشهد الطبيعي الغربي. ثم استخلصت، بعد ذلك، من بحثي بالنسبة للدكتوراه حول المشهد الطبيعي المغربي، كتابي «Marrakech, les poétiques du paysage», Libria, 2013». وفي إطار محاضراتي النظرية الجامعية، فإن البحث المستمر يمكنني من تبليغ المعرفة حول المستجدات والأفكار والعمليات الجارية في مجال المشاهد الطبيعية عبر العالم.

وكالة جهة الشرق تدعم التفكير والتجديد

رافقت المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط مبادرة وكالة جهة الشرق. فحينما استقبلت الورشة التي أدارتها السيدة سمية الصمدي، بإشراك السلطات المحلية، والمجالس المنتخبة والمجتمع المدني، ساهمت الوكالة في التئام العاملين في الميدان، الذين يركزون على أفكار أكاديمية مجددة، بأرباب القرار والمستعملين المستفيدين.
هذه المقاربة، التي تمثل تجاوزا للممارسات العادية، كانت ترمي إلى إبراز اقتراحات مبدعة وممارسات أكثر شمولية، بحيث يتملك الفاعلون المعنيون بشكل أفضل الإنجازات ويصبحوا أقوى المدافعين عنها، مستنيرين بالمعارف التي ينشرها المسعى. وبالتالي، فإن الحلول ستكون لا شك أكثر انسجاما مع تراثنا المادي واللامادي الجهوي.

ويمكنني أيضا من تأطير مشاريع نهاية الدراسة للمهندسين المعماريين المستقبليين. كما يُلقن الجانب العملي داخل ورشات الهندسة والمشاهد الطبيعية وفي ورشات العمل الوطنية والدولية.

ويتم التطرق للجانب التجريبي عبر محاضراتي وكتاباتي بالمغرب وبالخارج حول موضوع المشهد الطبيعي، والموجهة لاختصاصيين وللجمهور العريض.

من الناحية العملية، فإن تدخلاتي كاستشارية في المشاهد الطبيعية حول العديد من المشاريع تفضي إلى إصدارات تؤمن الربط مع أصحاب القرار، وخاصة منها الانجازات التي تحظى بتغطية إعلامية. كما يدل استنتاج أبحاثي حول مزاولة المشاريع المشهدية الطبيعية، المعترف بها والتي حظيت بجوائز، بأن مسارا في هذا المجال لا يمكن أن يكون فعالا ومستداما إلا عبر مزج عنصرين أساسيين : العمل المحكم والدقيق، الذي يغرف من القيم المادية، والإحساس المنبثق من قيم ثقافية لامادية مرتبطة بكل سياق، مع تأقلم عميق مع المحيط، حيث يكون الإنسان دوما مركز الاهتمام في وسطه الحي.

وكاستشارية ومصممة، فإن عملي الميداني يدفعني إلى تشخيص مزاولة المشاريع المتعلقة بالطبيعة على أحسن وجه.

وهي تفرض علي أيضا، فهم إكراهات وصعوبات المنظومة المكلفة بتدبير السياسة في هذا الميدان، وبالخصوص تقييم نتائجها، مما يمكنني من استخلاص بعض الملاحظات.

وهكذا، فما بين الهندسة المعمارية والعقار، هناك اختلاف في المصالح : فشيء مجهول ليس قطعا كشيء ملائم، مجرب ومعاش.

هذا الاختلاف في المصلحة يمثل الإشكالية الأهم في إنجاز المشاريع الجارية.

وتعمق الاكراهات اللوجستيكية والزمنية، هذا الفرق بين المصالح على حساب جودة المشروع. ونضيف بأن الجودة الناتجة هي محسوسة ومعاشة من طرف جهة ثالثة وهي المستعمل، الذي أصبح طرفا في المسار.

يؤكد الاهتمام العام ذلك وهو ينمو دون توقف، خاصة عبر الشبكات الاجتماعية والإحساس الجديد بفضل الوساطة المنتشرة على المستوى العالمي وليس فقط المحلي. وهذا يُبرز ضرورة وضع إطار عيش ذي جودة ومستدام بالخصوص، بصورة استعجالية.

إن التدخل على المشهد الطبيعي هو عملية أكثر تعقيدا، مع إحساس واسع بأن كل تدخل يفرض ردة فعل ملاحظ بعد كل إنجاز حول 4 محاور، اجتماعي واقتصادي، بيئي وجمالي.

علينا إذا قبل كل شيء تحسيس كل الفاعلين بثقافة الطبيعة، والعمل على مسار إنجاز مشاريعنا المشهدية الطبيعية، التي تعود حاليا إلى تفكير مشهدي شديد التأزم. وعلينا أن نقوم بـ :

- انجاز تدخلاتنا الجديدة بإحكام ؛
- الجمع إجباريا بين النظريات وممارسات المشاريع ؛
- تشخيص مواقع التدخل بتأن وفضول ؛
- أخذ الوقت الكافي والمشروع قبل التدخل ؛
- الرجوع إلى الكفاءات متعددة التخصصات من أجل تعاون أفضل ومن أجل إبراز مشاريع مستدامة.

ويتعلق الأمر أساسا بتأمين حياة هنيئة للإنسان وبحياته المستقبلية على وجه الأرض.

تكونت خبرة دولية بالمغرب، وضاعفت الإنجازات في إشعاعها

سمية الصمدي، مهندسة معمارية، ودكتورة في مجال تشكيل المشهد الطبيعي، وهي أستاذة بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، واستشارية لدى «Landscape& Design».

ومن بين أعمالها الحديثة، الحديقة الأندلسية (مراكش)، وهو مشروع صدر في عدة مؤلفات، منها «Performative Nature» (الذي اختير من بين أهم مشاريع تشكيل المشاهد الطبيعية المعاصرة في البينالي الدولي للمشاهد الطبيعية ببرشلونة) وأيضا على موقع https://landscape.coac.net/zh-hans/node/158.

كما أن هناك مشاريع جارية، خاصة إعادة الاعتبار لساحات مدينة الصويرة، وإعادة تهيئة الحدائق التاريخية لمراكش وحديقة الكتبية وحديقة قصر المدينة وحدائق زنبوعة والعافية ومتحف سيدي سعيد، وتهيئة حدائق الإقامة الشاطئية «الهسبيريد» بالهرهورة، وتهيئة الميناء الترفيهي المؤقت لسلا، والتشكيل الطبيعي لإقامات بالمغرب وبالخارج وتصميم الأثاث الحضري والاستشارة، مكتب فرانكو زاكاري، وهو مكتب عالمي إيطالي، وجان لوي فولكران، وهو مكتب فرنسي، لتهيئة شارع محمد الخامس بالرباط.

وبالمغرب، الخبيرة استشارية لدى وزارة السكنى وسياسة المدينة من أجل إعداد «الاستراتيجية الوطنية حول المشهد الطبيعي» اعتبارا لدراسة «المخطط الأخضر للرباط. كما أنها أطرت دراسة حديقة التجارب النباتية للرباط وإحياء نشاطها بالتعاون مع المعهد الوطني للأبحاث الزراعية، ثم قادت فريق الخبراء المكلفين بدراسة تهيئة المراكز القروية بخنيفرة. أما بالنسبة للمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، فقد أشرفت على مسابقة تصميم الأثاث الحضري وعلى ورشات لتصميم منتزه ترفيهي بوجدة.

تشمل أنشطتها على الصعيد الدولي، تأطير ورشات حول الإعدادات المشهدية ومحاضرات، والمشاركة في العديد من الندوات كأستاذة مدعوة (إيطاليا، السويد، مصر...) أو في مختلف التظاهرات البارزة (مثل مهرجان ديل فردي بروما، التي تنظمها مؤسسات شهيرة والمخصصة دائما لقضية المشهد الطبيعي. كما أن مشاركاتها عديدة (لجن التحكيم، لقاءات صحفية، مقالات، تحقيقات صحفية...). يضاف إلى ذلك عروض للوحاتها والعديد من الإصدارات. ومن بين مؤلفات سمية الصمدي كتاب «Marrakech, les poétiques du paysage»، الذي صدر بروما سنة 2013.

تدخل مهني وبيداغوجي بالمنتزه الإيكولوجي والترفيهي لوجدة

من أجل تجسيد الأسس النظرية للمسعى المشهدي الطبيعي في انجاز مشروع ملموس، بدا ضروريا اقتراح حالات تجريبية لفائدة طلبة المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية لتطوير كفاءتهم العملياتية.

ومن بين الحالات التي تم تجسيدها، مشروع المنتزه الترفيهي بوجدة، سنة 2016. فقد دعا السيد محمد امباركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، بشراكة مع الولاية، والوكالة الحضرية لوجدة والهيئات المحلية والجهوية، إضافة إلى مكاتب الدراسات، إلى تبادل الرأي من أجل المشاركة في المشروع (مشروع في مرحلة الورش على مساحة 25 هكتار). وقد تم تنظيم زيارة دراسية في مارس 2016 من أجل اقتراح تصاميم مبدعة ومجددة لهذه التهيئة، ضمن مقاربة ترمي إلى ربط الوسط الجامعي، وجعل الطلبة يواجهون القضايا الحقيقية الميدانية واستكشاف الأفكار الطرية النابعة من الوسط الأكاديمي.

تزخر جهة الشرق، بفضل التنوع الكبير لمشاهدها الطبيعية، بمؤهلات طبيعية وثقافية وبإمكانات سياحية هامة تجعل منها مقصدا بارزا لأشكال مختلفة من الزوار، من الشغوفين بالآثار إلى هواة سياحة الحامات أو الجبل، دون إغفال محبي استكشاف المواقع ذات الأهمية البيولوجية، أو الإيكولوجية، أو الأركيولوجية...

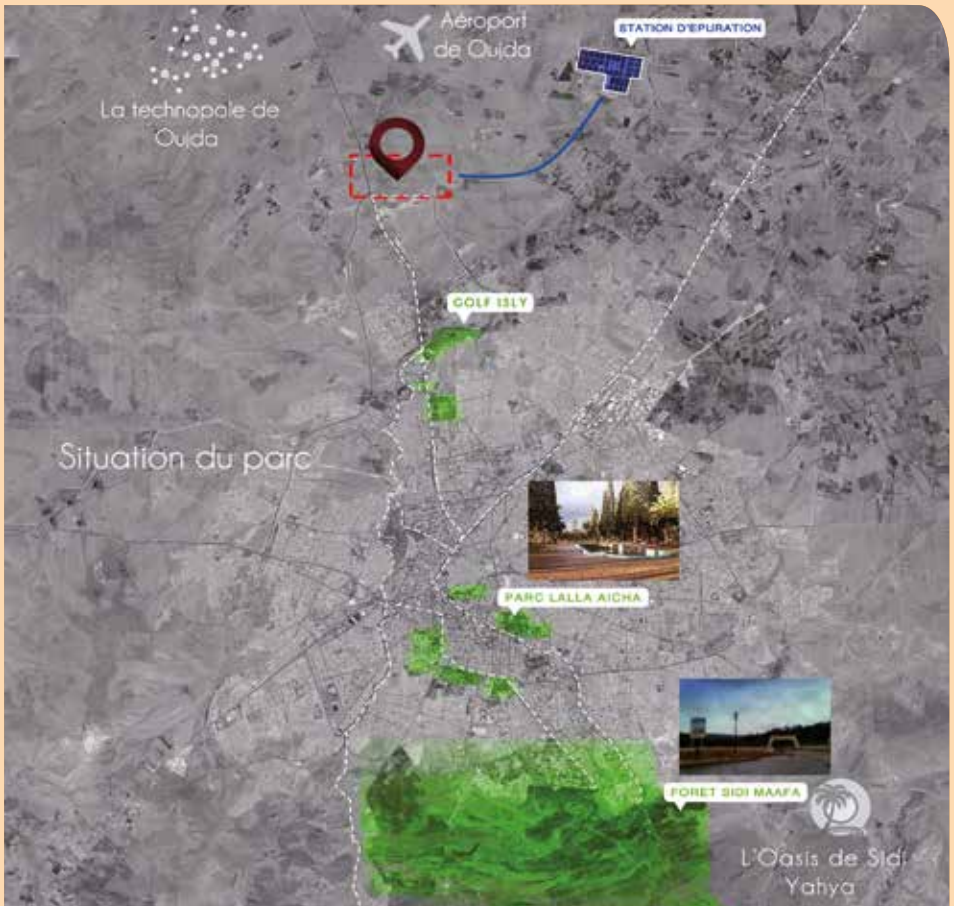

يكمل المنتزه المستقبلي محورا حقيقيا شمال-جنوب للمساحات الخضراء الحضرية لفائدة ساكنة وجدة

فمدينة وجدة، عاصمة الجهة، تنمو وتعرف تحديثا وفق تصميم للتنمية ينص على تعزيز البنيات التحتية وإعادة الاعتبار للنسيج الحضري، وتطوير الحركية الاقتصادية وحماية البيئة.

هكذا، فإن المشاريع التي تهم هذا الجانب الأخير، تشمل الارتقاء بالمساحات الخضراء لوجدة، وإعادة الاعتبار لحزاميها الأخضر والأزرق لواد الناشف، وإنشاء وإعادة الاعتبار للحدائق والمساحات الخضراء... وقد اندرج مسعانا بعدها ضمن الرؤية التي كانت تريد أن تجعل من الحديقة المرتقبة علامة جاذبة على الصعيدين الجهوي والوطني.

وكمؤطرة ومسؤولة عن هذه الورشة، فقد استند تفكيري الأول على مسعى ذو غاية بيداغوجية وغاية علمية. فالمنتزه أو الحديقة ينبغي أن يُعالَج، أولا، على أساس كونه بنية مشهدية طبيعية وإطارا للعيش البشري والاجتماعي بالمدينة والجهة. وقد أكدتُ على القراءة الجيدة للموقع على المستويين الشمولي والمحلي.

يبدأ التشخيص العميق، والمرهف، بفهم تاريخ المكان، وتطوره الزمني. وهكذا، ينبغي تفسير كل معطى مطلوب بكثير من الإحساس وبموضوعية أفضل. وتشكل طريقة رؤية المكان، وقراءته والاستماع إليه القاعدة لمعرفة طريقة العمل. فالتدخل باحترام القيم المادية واللامادية، هو الوسيلة الوحيدة لإنجاح أي مشروع كيفما كان.

وقد مكنت هذه المقاربة، الطلبة من التعرف على معالم الثقافة العامة الجهوية عن طريق قراءتها الترابية والحضرية. وقصد الوصول إلى جواب ملائم، فإن مراجع البحث الموضوعة بسخاء رهن إشاراتنا تم الرجوع لها لتشخيصها بنوع من النضج. لقد كان الأمر يتعلق بتنفيذ مختلف الدروس المستلهمة واقتراح تدخلات مبنية ومقْنعة. وقد تم تحديد الاقتراحات على هذه الأسس كما يعرض في ما يلي.

علاقة متبادلة للحديقة مع مختلف المكونات الحضرية

يندرج المنتزه في محور أخضر شمال-جنوب (التخطيط المرافق). وتقترح كل مساحة نقط جذب نوعية.

ويمكن تثمين هذا التكامل وتفعيله بإحداث مسار راجل يربط المساحات الخضراء فيما بينها.

احترام القائم

لقد كنا نتدخل على مشروع قيد الانجاز. وكان الاقتراح إذا المحافظة على الرسم الأولي للمنتزه بدراسة نقط قوته وضعفه، ثم التحرك عبر عناصر مفاهيمية جديدة مبَّررة من أجل ضمان اقتصاد المشروع وتأمين إطاره المستدام. وقد وُضع اقتراحنا كرسم شفاف (calque) فوق التصميم الأولي. وقد كان دورنا كمصمم هو الإحاطة الجيدة بالموقع قبل التدخل، والتأني من أجل تأكيد الموجود والقائم وليس الاعتداء عليه.

اعتبار تشكيل المنتزهات كمشيد للهويات

لقد مكنت طريقة العمل هذه من التعرف أكثر على المشهد الطبيعي النوعي لجهة الشرق، وقراءته عبر مختلف أصنافه (المرفولوجية، الطبوغرافية، السوسيو مجالية والاقتصادية)، مما مكن من إبراز غناه الكبير، وهو موضوع استكشافنا. وقد مثل ترسيخ الثقافة والذاكرة الهدف المرجو.

مشروع مطور للاقتصاد

من جانب آخر، يعتبر مشروع المنتزه مشروعا منميا للاقتصاد، ومن هنا جاءت فكرة جعله يشع على كل الجهة ويستقطب أكبر عدد من الزوار في مواجهة الطابع الموسمي. يمثل تنشيط المشروع طوال السنة عنصرا أساسيا تقام عليه التصورات الجديدة.

مشروع إيكولوجي

إن جهة الشرق، المكونة أساسا من جبال وسهول ونجود عليا، توفر غنى مرفولوجيا متنوعا. وقد أُوصي بتركيز التفكير على علاقة المستعمل بالطبيعة وبتفعيل التربية البيئية للزوار. وقد تمثلت الفكرة في إدماج الوحيش والنباتات، ليس فحسب من أجل خلق توازن في المنظومة الإيكولوجية، ولكن أيضا من أجل تنمية علاقة وجدانية بين الزائر والكائنات الحية التي تم إدخالها، بإدماج مسارات للخيول وضيعات بيداغوجية ومشاجر...

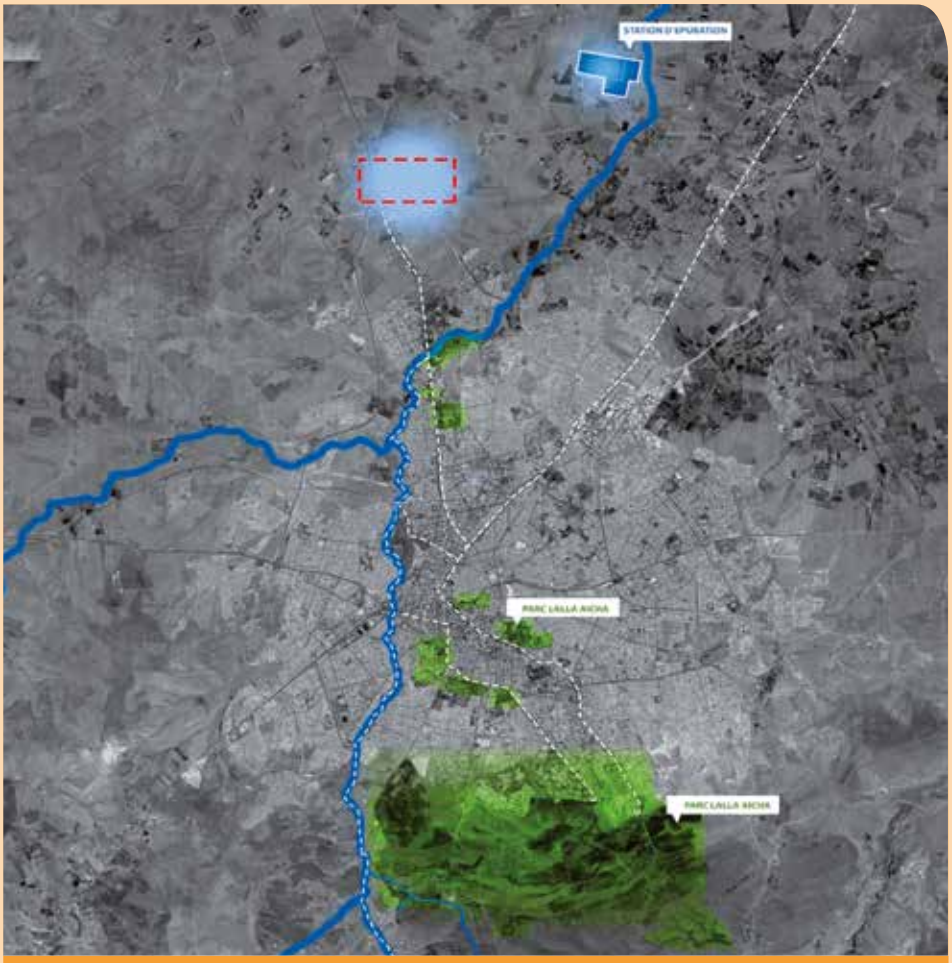

الرؤية الإستراتيجية تظهر الموقع المتميز للمنتزه على أحد المحورين اللذان يهيكلان المدينة، المحور الذي يؤدي إلى بركان والمطار والقطب التكنولوجي

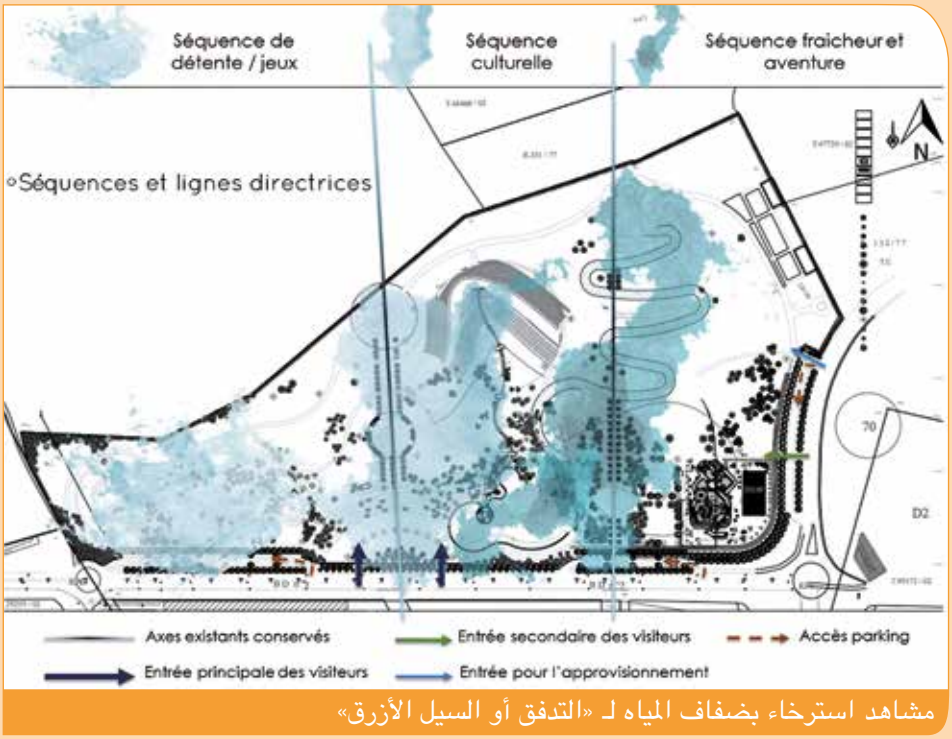

مشاهد استرخاء بضفاف المياه لـ «التدفق أو السيل الأزرق»

هكذا، يتم تعريف المستعمل بالثقافة الجهوية.
وفضلا عن البعد الثقافي، تم تبني مسألة الاستدامة في المسار الإيكولوجي، من حيث إعادة التدوير واقتصاد الماء والطاقة، التي تعتبر عناصر ضرورية.
وأخيرا، فإن مساحة المنتزه وتموقعه تعتبر إيجابية وتسمح بإنشاء منتزه ترفيهي يلبي حاجيات مختلف أصناف الزوار وملائم للمناخ المحلي : نزهات، ترفيه، لقاءات، استقبال وتنظيم أحداث.
وتتمثل الإشكالية التي تؤسس التفكير في إيجاد تصور لمنتزه يميز جهة الشرق، مشروع ينطلق من هويتها الطبيعية المميزة.
هكذا، فإن تنفيذ عناصر المشروع تنقسم إلى ثلاث موضوعات مختلفة، ولكن بهدف وحيد وموضوعي جدا : خلق «منتزه الهوية الجهوية لجهة الشرق».

ثلاث مقاربات لإنشاء حديقة ترفيهية إيكولوجية ذات طموح جهوي

تنبثق المواضيع الثلاثة من تاريخ وجدة والجهة، من تربتها، ثقافتها وتطورها السوسيو-مجالي.

«حديقة الماء»

يتمثل الاقتراح الأول في تصور المشروع كـ «حديقة أو منتزه ماء». وقد انطلقت الفكرة من أصل مدينة وجدة نفسها، التي نمت انطلاقا من منبع أو عين ماء، من أجل خلق تنشيط نوعي مرتبط بموضوع الماء، يناسب الحاجيات المعاصرة للمستعملين.
ويتعلق الأمر أولا من مقاربة الماء كعنصر استراتيجي على صعيد المدينة وكعنصر بنيوي على صعيد مشهد مدينة وجدة، ولكن أيضا تغيير الصورة السلبية حول الماء بالنسبة لسكان وجدة (كالواد الناشف)، باقتراح تهيئة ضفافه لأنشطة الاستجمام للساكنة.
بالنسبة للحديقة الترفيهية، فإن التعامل مع الماء يزيد من قوة الموضوع عبر فكرة إيجاد الماء في كل أحواله :

مبدأ التدفق الخاص بـ «السيل الأزرق»

- سائل (ماء الأنهار، شلالات وقنوات) للتنزه بقربها ؛
- صلب، كالجليد والثلج، من أجل ضمان الأثر المتجمد وممارسة التزحلق في الشتاء ؛
- على هيئة بخار، كالضباب المنعش في فصل الصيف.

هذه التنوعات هي إجابة حاسمة لإشكاليات متعددة (الطابع الموسمي، تعدد الاستعمالات، الجاذبية، معالم الاستدلال...).
ويتمثل الخط التوجيهي في خلق ثلاث تسلسلات : «تدفق أو امتداد أزرق»، وهي محور يشكل فيه النبع العنصر الموحد، والتسلسل الثاني، المسمى «الزيارة الثقافية»، والذي يهتم بإحياء الموروث الموسيقي وفق مسار رشقات المياه، والثالث مخصص للألعاب والاسترخاء بزيارة مساحات التراث المشهدي الطبيعي.
وسيوفر المنتزه زيارة ثقافية للموروث النباتي عبر حظيرة الأشجار المنتمية لجهة الشرق.
مثال للتسلسل : السينما في الهواء الطلق، فضاء مسرحي بمدرجات بشاشة عرض، تكريما للسينما المغربية الأولى بوجدة (مقرر لنشر الأشرطة واحتضان الأحداث الرياضية والموسيقية).

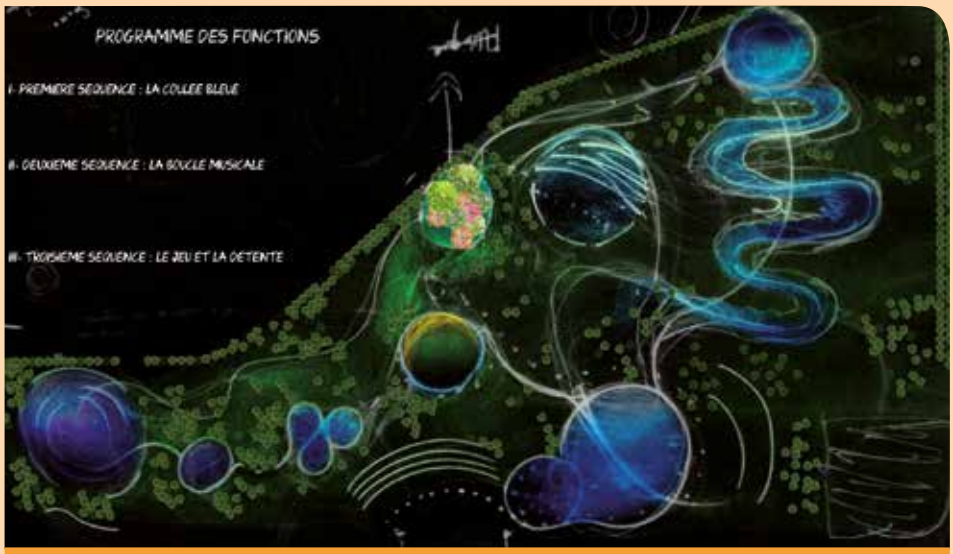

مكونات مشروع «منتزه الماء»

سينما في الهواء الطلق بمدرجات

بعض الأجواء التي قد يكتسيها «منتزه الماء»

تؤدي المقاربة البيئية، والإيكولوجية والمستدامة إلى الرجوع إلى خصوصيات الطبيعة على التراب الجهوي : نجد إذا بالمنتزه أنشطة مرتبطة بالغابة والجبل (تسلق الجبال، دراجات هوائية...)، والرياضات المائية (الكاياك، السباحة...). بالنسبة للصحراء، أنشطة مرتبطة بالرمال (الكواد...). ولكن نجد أيضا العديد من أنشطة الاستجمام الأخرى ذات صبغة رياضية بتجهيزات مقابلة، كما يمكن أن نراه هنا.

تظهر المقاربة الديمغرافية في جهة الشرق، بأن قرابة نصف الشباب عمرهم أقل من 25 سنة. هذا الوضع تنتج عنه ضرورة تقديم مجموعة من الأنشطة الرياضية بالمدينة لهذه الساكنة الشابة، لدفعها نحو نسق حياة صحي يشمل ممارسة الرياضة.

وبما أن جهة الشرق هي المنطقة الوحيدة التي يمكنك فيها في يوم واحد أن تمر من البحر إلى الجبل ثم إلى الصحراء، فإن التضاريس ستعالج بشكل يسمح بضم كل الأشكال المرفولوجية الجهوية (جبال، سهول، كثبان رملية). وقد وضعت بشكل يسمح باستغلال أمثل لانحناء الأراضي. وسيستقبل كل شكل أنواع الأنشطة الجسدية التي يبدو أنها تتناسب معها.

فضلا عن مقاربة اللعب والبيداغوجية، فإن منتزها حضريا رياضية بوجدة ينبغي أن يضيف بعدا إيكولوجيا للخيار. وفي هذا الموقع الشاسع المخصص للرياضة والترفيه، فإن قرارات وتدخلات ستقوي هذا الجانب.

«الحديقة الرياضية»

تعرف الجهة بكونها منطقة رياضية بامتياز : فالعديد من الرياضيين المرموقين ينحدرون من وجدة. وسيمثل المنتزه الرياضي طريقة جيدة لتكريم هؤلاء الأبطال الكبار الذين طبعوا العديد من الأنشطة الرياضية على المستويين الوطني والعالمي.

ومن هنا جاءت فكرة الرفع من صورة المدينة عبر هذا التصور لمنتزه يحتضن مختلف الأنشطة الرياضية، كل رياضة حسب شكل وتضاريس المكان، كما تمت إعادة تشكيلها في عمليات التهيئة المبرمجة في المشروع.

إحدى الأجواء المقترحة مع التجهيزات المعروضة

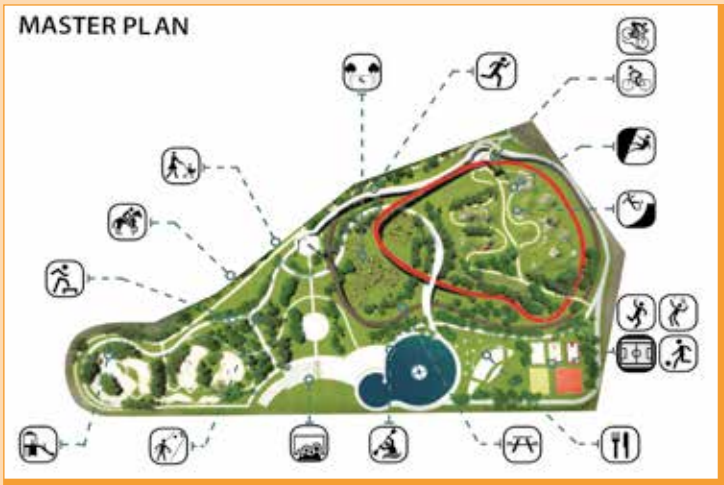

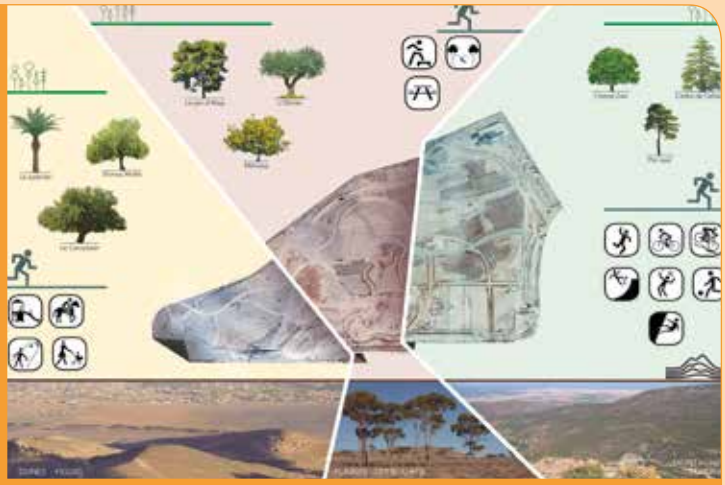

التصنيفات الثلاث البيئية الطبيعية التي تم اعتمادها وتصميم إنشاء الأنشطة الرياضية

أجواء الفضاءات المخصصة لأنشطة مختلفة (رياضات جماعية، ألعاب للأطفال، نزهة، تسلق، ركوب الخيل...)

ويدلل على ذلك :

- اختيار المواد الناتجة عن إعادة التدوير (لتلبيس المسالك أو الأثاث الحضري للمنتزه) ؛
- اختيار العناصر النباتية الخاصة بالجهة ؛
- صيانة تحترم دورة الحياة، وتدبير النفايات عبر منظومة للجمع والفرز.

«حديقة الفسيفساء»

هذا الاقتراح هو أيضا مبني على غنى الطبيعة المورفولوجية والطبيعية الجهوية (الجبل، الصحراء، البحر، النجود العليا). ويتعلق الأمر هذه المرة، بتفسير ألوان التراب وطوبوغرافيته، وتنوع مناخه بين تلال، وجبال غابوية وسهول ساحلية.

هذا المنتزه الخليط يجد مصدره في تاريخ المكان، وجغرافيته ورسمه الأصلي كأرض رسمها فلاحها على شكل خطوط وإطارات.

أحد التجهيزات المبرمجة وأجواء الضيعة البيداغوجية

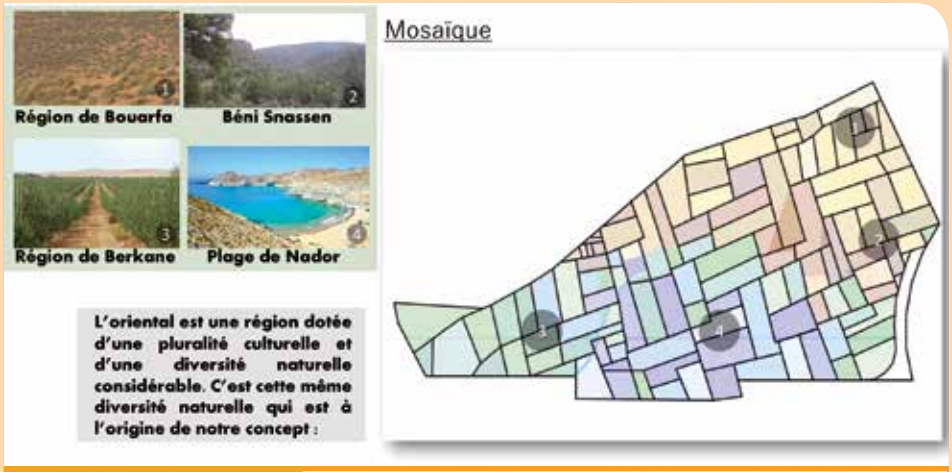

إنها نقطة الانطلاق لحمل ذاكرة المكان. وقد تمت إعادة تخطيط الرسم الأول بخطوطه، بالتسطير على الارتقاء بالهوية المادية للتراب. وهذا المزيج يبرز الصفات المورفولوجية النوعية لجهة الشرق.

يتعلق الأمر بتشكيل الصفات الجغرافية للجهة، وتمثيلها وتحديد الأفكار الرئيسية للتصور، وتقسيمها إلى ثلاثة مناطق بتكييفها مع الأنشطة المختلفة التي تسطر اختلافاتها (المواد، الألوان، التركيبات) واستعادة الأجواء (المناظر، الروائح، الأصناف)، ورموز كل منطقة من الحديقة.

وقد مثل تكييف أنشطة المستعملين وفق هذه المناطق الثلاثة المتميزة على شكل فسيفساء، الشاغل والحرص الوحيدين.

يقدم البرنامج المقترح للزوار تربية إيكولوجية : مقاربة للحدائق التربوية والحدائق الفلاحية وفضاءات الضيعات للحيوانات الداجنة.

إن الغاية هي تقريب الزائر من وسطه الطبيعي بإدخال كائنات حية بغية ملاحظة ورصد وحب الطبيعة وحيواناتها، من أجل الدفاع عنها بشكل أفضل، ولتأمين إنسان أكثر إحساسا، ومسؤولية بخصوص حديقتنا الصغيرة التي هي الأرض.

منتزه للّا عائشة، الفضاء البلدي لوجدة، أنشطة ترفيهية متعددة

علي خروبي
صحفي

على شكل ظهر بعير بسنم واحد أو بسنمين ؟ مهما كان إلهام تقوسها، فإن أبواب منتزه للّا عائشة هي في نفس الوقت بسيطة للغاية، وذات أناقة مدهشة وتميز، بحيث يكفي أن تراها مرة واحدة لكي ترسخ في ذاكرتك للأبد. وهي ترمز في آن واحد لمكان عريق للاسترخاء، وللنزهة والاستجمام معروف هنا من طرف الجميع، وليس فقط وجدة كمدينة خضراء تحلو فيها الحياة. رجوع إلى قرن من المتعة الحضرية.

وجدة، مثل العديد من المدن التاريخية، تفخر ببعض المواقع الحضرية الرمزية ذات الحمولة العاطفية الكبيرة، كموقع أبحار، الذي لم يبق منه سوى الإسم، وباب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، الصامدان على مر الدهر، مع تقييم الثرات الحضري للمدينة العتيقة، وصومعة الجامع الكبير، التي تثير الانتباه بحجمها الملفت للنظر.

فضاءات عديدة للتمتع بالطبيعة

منتزه للّا عائشة من بين هذه الفضاءات. أنجز سنة 1932 في فترة الحماية والذي صممه المهندس الرئيس للمدينة، روني ميتر (René Maitre)، وهو يعتبر من أولى المنتزهات العصرية بالمملكة، إذ يمثل لوحده رمزا لعاصمة جهة الشرق.

ويعود الفضل في ذلك لهندسته المعمارية وللشكل الاستثنائي لمظهر بوابة الدخول، ثم إلى تعدد وسحر الفضاءات المرتبة على مساحة 17 هكتارا.

وبحكم كونه ملاذا ومنطقة للاسترخاء بجوار المدينة العتيقة، فهو يُظهر ويحمي في نفس الوقت. يُظهر بهاء العديد من الزهور والأوراق ذات الأشكال والألوان المختلفة. ويحمي الطبيعة الأكثر تنوعا وتلألأ بالمنطقة، كما يحتفظ بأسرار الفتيات والفتيان الذين توافدوا على مر السنين على ساحاته المهيأة لمراجعة دروسهم، أو إعداد مبارياتهم أو فقط من أجل التمتع بلحظات الاسترخاء والبهجة التي توفرها الحدائق العمومية.

منتزه للّا عائشة عالم ينتظم حول بحيرات كبرى، وممرات واسعة من الشجيرات، والأشجار وأشجار البلوط الطاعنة في القدم والعديد من أصناف الزهور والعشب الأخضر في أشكال هندسية مدروسة.

ولعبة الضوء والظل أخاذة، حيث أنه ولو تحت الشمس الحارقة لشهور الصيف، فإن الظل يغطي كامل الممرات وأماكن الراحة، مما يمنحها طراوة خاصة. فمباشرة تحت مجمع الأشجار ذات العلو المختلف، فإن حلاوة النباتات تغمر المكان بالطراوة والسعادة.

كما أن عشرات المناضد والكراسي المعروضة على الزائر والأثاث الحضري تؤمن للأماكن طابعها الوظيفي كفضاءات للراحة، وفضاءات للأطفال وكإطار للاسترخاء وللتلاقي بالنسبة للأشخاص المسنين.

ملاذ إيكولوجي يتوجب الحفاظ عليه

يضم هذا الملاذ الإيكولوجي ثروة كبيرة، طبيعية، وحش ووحيش. فهو يحتفظ، ككنوز ثمينة، على أصناف محمية. ويمثل المجموع ثروة خضراء لا تقدر بثمن بالنظر لنوعية وتنوع الغطاء النباتي. وهذه الخصوصية تتأكد بالعدد الكبير للأصناف التي يقل تواجدها في أماكن أخرى، مثل سابيندوس سابونايريا (SapindusSaponaria) وفراكسينوس اكسلسيور (Fraxinus Excelsior) وفيتولاكا ديوإيكا (Phytolacca dioica). كما يأوي المنتزه بعض الأشجار المئوية مثل شجرة فستق الأطلس (pistachier de l'Atlas)، وشجرة الزيتون والثمر الميس (micocoulier).

من الداخل، خفيف وشفاف، ومع ذلك، فإن بوابة منتزه للّا عائشة يطبع مدخل الفضاء المشيد

يتميز النسيج النباتي للمنتزه بتنوعه حيث يضم أزيد من 150 صنفا من المغروسات، منها 60 صنفا من الأشجار و90 صنفا من الشجيرات.

وقد ساهم هذا التنوع الطبيعي في إنجاز حدائق من النوع المكتظ. وتعتبر الحديقة الفرنسية أقدمها. وكتصور مسبق للمنتزه، فإن الحديقة الفرنسية كانت أول ما صمم بوسط المدينة، بأمر من روني ميتر، من طرف المهندس رسام المشاهد الطبيعية لويس كوميز (Louis Gomez) سنة 1916 والذي صمم أيضا بوابة المدخل الرائعة.

بوابة المنتزه، كما تم ترميمها، تعتبر دعوة صريحة لولوج هذا العالم

يتميز المكان الذي تم اختياره بحجم امتداداته التي تصل إلى 10 000 متر مربع، ألحقت بها حديقة أندلسية بجداول وانسيابات للسقي. وقد كان الماء يستقدم في البداية من ساقية سيدي يحيى، ليعوض في ما بعد بمياه باطنية أو موزعة انطلاقا من شبكة التزويد المحلية. وقد استبدلت التشجيرات البرية والغابوية لما قبل 1916 بمغروسات مجددة، ومنظمة ومدمجة مع نافثات مياه حول حوض مهيئ في الوسط. وقد كان هذا الأمر يمنح لهذه الأماكن طابعا خاصا يكلله الموكب الزهري المقام.

مسبح، ومسرح، وملاعب لكرة المضرب، وحدائق للأطفال

المنتزه هو أيضا فضاء للترفيه وممارسة مختلف الهوايات الرياضية نظرا لتوفره على ملاعب لكرة المضرب، وحلبة لألعاب القوى (منذ 1960)، وملعب لكرة القدم، وقاعة أولمبية للسباحة قيد البناء (عوض المسبح القديم المغطى)، وحلبة لألعاب القوى مخصصة للتدريب، وفضاءات الألعاب للأطفال، ومسارات لرياضة المشي...

تدير نادي كرة المضرب جمعية المنخرطين. وهو يغطي مساحة 16 000 متر مربع. ويتوفر هذا النادي، الذي أنجز في أواسط خمسينات القرن الماضي، على 7 ملاعب لكرة المضرب ومسبح، وفضاء للألعاب خاص بالأطفال، ونادي للعبة البريدج، ومقصف وملعب لكرة القدم المصغرة.

أما المسبح البلدي، فهو يوفر ثلاث أحواض بمقاييس مختلفة. أصغرها للمبتدئين وللأطفال في سن صغيرة، ومسبح بمساحة متوسطة، والأكبر يستغل للسباحة والقفز الرياضي. وقد صمم فضاء الانتعاش هذا، الذي أنجز سنة 1963، ضمن مقاييس أولمبية. فضلا عن المسبح، يتوفر المنتزه على حديقة ممتدة على مساحة 6 000 متر مربع مخصصة للأطفال. وهذه الحديقة تتوفر على معدات للتزحلق، وأرجوحات وتعاريش...

يمنح تقديم هذه المساحات الخضراء للمدينة فرصة التحسيس بأهمية هذه الأماكن الترفيهية بالنسبة للأطفال وإلى ضرورة تجهيزها بمعدات عصرية، موضوعية ومدمجة، تستجيب لانتظارات الأعمار المختلفة. أفليس من الحصيف تهيئة فضاءات للعب تبعث الرغبة على القدوم والعودة، فضاءات للترفيه بوسع كل واحد امتلاكها لكونه يشعر بالراحة فيها ؟ هذا الفضاء ليس فقط مهيأ للّعب وللأطفال، فهو يتوفر أيضا على مسرح في الهواء الطلق لاحتضان الأنشطة الثقافية، والتنشيطات والمسابقات الفنية. وهذا المكان يحتاج إلى صيانة بسيطة لاستعادة كل بريقه.

ملاعب لكرة المضرب ومسبح هي من بين تجهيزات الرياضة والترفيه لمنتزه للّا عائشة

وهو يغطي مساحة 300 4 متر مربع، ويضم ركحا مساحته 260 متر مربع وبوسعه استقبال 200 1 متفرجا.

إنه مسرح الهواء الطلق الوحيد بالمدينة. أفليس من الأرجح الاستفادة منه خاصة في هذه الفترة من الحجر الصحي والتباعد ؟

أرض خصبة للابتكار والإبداع

إن هذا الفضاء من الخضرة وللتنزه، والذي يعتبر الرئة الخضراء لوجدة، ليس فقط مجالا متعدد الوظائف، ولكن أيضا مكانا للتفكير والدراسة. وهو فضاء مرغوب فيه بالنسبة للأنشطة الترفيهية، والثقافية واللعبية والبيداغوجية لفائدة مختلف أصناف المستعملين والزوار. وفي هذا الصدد، فإن الاحتفالات المنجزة في إطار أسابيع العلوم التي تنظمها مؤسسة عمر بن عبد العزيز بتعاون مع وكالة جهة الشرق وشركاء آخرين يتابعها المخترعون الشباب. وتحت ظلال الأشجار السامقة للساحة المركزية للمنتزه، يعرض المخترعون الشباب اختراعاتهم الجديدة التي تجمع بين ضرورة الاستدامة ومتطلبات حماية البيئة.

وليس من المصادفة أن يقدم هؤلاء التلاميذ أنشطتهم الإبداعية بالمنتزه. وفي كل الأزمنة، تجمّع جامعيون وتلاميذ الأقسام الثانوية لإعداد امتحاناتهم.

وسواء استندوا شجرة، أو تمددوا على العشب أو جلسوا على المناضد الفسيحة، فإن أطرا للجهة، ووزراء، وأرباب مقاولات، وموظفون سامون لوزارات مختلفة أو مفكرون، قضوا لحظات جميلة من شبابهم في إعداد أنفسهم لمسؤولياتهم المستقبلية. فالمنتزه هو إذا مكان متميز للذاكرة الحضرية.

لقد كان منتزه للاّ عائشة يتوفر على حديقة حيوانات صغيرة تضم حيوانات متوحشة إلى غاية نهايات ثمانينات القرن الماضي.

في إطار الورش الكبير للنهوض بوجدة لجعلها مدينة تغري بتنوع وسائل استقطابها، لا شك أن المنتزه ينبغي أن يحتل كل المكانة التي تليق به.

المنتزه الباريسي لتلال شومون
من مشنقة القرون الوسطى... إلى نزهة العطل الأسبوعية

تحفظ الذاكرة الجماعية للباريسيين تسمية «مشنقة مونفوكون» لهذا الموقع، الذي كان يتم فيه شنق المحكومين بالإعدام في العصر الوسيط إلى غاية القرن السابع عشر.

وبعد أن أصبح فيما بعد مطرحا للنفايات، استقبل المكان بعد ذلك أنشطة تنتج الكثير من النفايات كتلك المرتبطة بالذبيحة. غير أن كل شيء تغير في أواسط القرن التاسع عشر، بسبب التوسع العمراني لمدينة باريس الذي أصبح يشمل هذا الموقع. وقد كُلف المهندس الشهير هوسمان بخلق مساحة خضراء شاسعة بالموقع مستلهمة من الحدائق أو المنتزهات الإنجليزية.

ولم تتم المصادقة على التصاميم النهائية إلا سنة 1865. وقد كانت الأشغال كبيرة جدا بالنسبة لذلك الوقت، وهي تُوفق بين التحكم في المياه السطحية والتثمين الأمثل للمُنحنيات.

وبعد استشارة عمومية كبيرة، تمت إقامة العديد من تجهيزات الديكور والتنشيط، مع استعمال واسع للإسمنت المسلح، وأربعة جسور تربط التلال، منها قنطرة من إنجاز كوستاف إيفل.

وقد دشنت الحديقة في فاتح أبريل 1867، في نفس يوم افتتاح المعرض العالمي بباريس.

مؤطر لهيئة التحرير

منتزه للاّ مريم، حديقة نباتات، وعمل تشكيلي... وسياسي

عبد النبي الكتوي
فنان تشكيلي من جهة الشرق

لوجدة منتزها نباتيا تاريخيا. ويعود الفضل في ذلك إلى مرحلة مضطربة كانت تتجسد فيها الإرادات السياسية والإستراتيجية غالبا في شكل إعدادات مُجدِّدة في مواجهة وضعية غير مسبوقة. هكذا، وفي ما يشبه استمرارية في إطار توازن غير مستقر وبالتالي قابل للتغير، أرسى المنتزه إطارا للوفاق والتوافق حظي بالاستحسان من قبل كل المجموعات. وقد استطاع المغرب الحديث أن يثمن هذا الإرث.

في كل الأزمنة وفي كل المراحل التاريخية الحديثة، مثلت جهة الشرق جهة استثنائية بالمغرب ووجدة مدينة لا تشبه أي مدينة أخرى.

الحديقة، أفضل وسيلة للحديث عن الجميع، ومع الجميع وعن كل ما هو مشترك بينهم

بوازع قوي من التواجد الاستعماري، كانت مدينة وجدة المدينة الأولى التي تحتضن العديد من الإدارات العصرية وإحدى أولى المدن لاحتضان منتزه للنباتات يتوفر على تنوع زهري متميز. وقد عرفت هذه المدينة إنشاء حديقتها الأولى في بداية القرن العشرين على شكل منطقة مهيأة لعرض وتثمين أصناف وأنواع نباتية : وهي حديقة تستند على أسوار المدينة، في صورة حزام مرن ذي تشكيل يتيح إبراز عمق المدينة العتيقة وارتباطها المتين بوسطها الطبيعي.

منتزه للاّ مريم ومدخل إقامة الجنرال ليوطي (سنوات 1910)

وقد كانت الحديقة تتميز بالتنوع الزهري الكبير حيث أن الأصناف العديدة تم استجلابها من كل أصقاع العالم الفرنكوفوني. وقد حدث ذلك سنة 1910، في موقع حديقة للاّ مريم الحالية، بوفرةِ ألوانٍ تُجسد التسامح و«العيش المشترك»، كما كان يَتَمثلُها فريق الجنرال ليوطي الذي كان حينها حديث الاستقرار بالمغرب.

إضافة إلى ذلك، فإن هذه الحديقة كانت تهدأ حرقة حنين المحتلين الجدد وتسهل التفاهم بين الطوائف بفضل الميل المشترك نحو الطبيعة.

في هذا الفضاء، تحتل الحواس الشكل والحيز. فكل ما تبثه هذه الحديقة يستنفر حواس الشم والسمع واللمس والذوق، خاصة رؤية الألوان الكوكبية والأشكال الهندسية التكتونية التي تتداخل في هذه المدينة المضيافة.

وتمنح الروح التقنية والعلمية والحميمية للحديقة طابعا كليا وإرثا ثقافيا وبشريا من الواجب الحفاظ عليه. وبهذا الشكل، استطاعت أن تظهر كنموذج راق للسلام، ولو وهمي وكاذب بشكل من الأشكال.

الأجواء اللطيفة والظليلة لمنتزه في حالته الراهنة

زمن إعادة تملك المكان

ما علينا أن نستغرب، بعد ذلك، إن ذهب بعض المفكرين أو السياسيين إلى أبعد بإخفاء الطابع غير الوِدي للتواجد الفرنسي في بلد ذو سيادة، بتجهيزات عمومية كمدرسة سيدي زيان، وثانوية الفتيان (عمر بن عبد العزيز حاليا)، والبنك المركزي، ومحطة القطار...

وقد كانت الحديقة فنيا وثقافيا الوسيلة الأفضل للحديث عن الكل وللكل عن الوقائع والانشغالات المشتركة، والسماء الزرقاء والمطر ومسارعة الموت وعن ما هو جميل وممتع، وعن رغد العيش والفنون...

هذا ما يمكن أن يجمع المجتمعات الأجنبية والمحلية : نحن نشبه بعضنا البعض ونجتمع في ما نراه وفي ما يثير إعجابنا جميعا.

وتختلف الأحلام من شخص لآخر، ولكن الواقع هو إرثنا المشترك. والرغبة في الوجود في الواقع الملموس هو أمر مشروع لأنه مرتبط بعمق بالمغامرة الإنسانية.

تحتفل الحديقة النباتية، التي أصبحت حديقة للاَّ مريم، بالذكرى السنوية 112 لإنشائها، هذه السنة..

بعد أزيد من قرن من الوجود، تمكن هذا المنتزه من فرض نفسه كفاعل ترابي أساسي، يحمل العديد من العناصر الجمالية الفنية والبيداغوجية.

ولهذه الغاية، فهو لم يفتأ يتمتع بهالة متميزة، منذ إنشائه.

وبالتالي، فإن تاريخ المنتزه فريد، وقد أعطيت له دفعة جديدة في سبعينات القرن الماضي، بتحويله إلى متحف للتراث الجهوي بمساندة حازمة من السلطات.

وبعد عقود عديدة، أصبح هناك سؤال يهيمن على المشهد، ألا وهو كيف نُفَعل داخل نفس هذا الفضاء الحوار بين الفنان والطبيعة ؟

وفي النهاية، فإن القايد ديدوح، هو من أعطى، سنة 1972، الانطلاقة لمشروع إعادة تهيئة الحديقة المجاورة لبيت ليوطي، والبيت القديم للباشا، ومكتبة الشريف الإدريسي ودار القاضي. وقد قام هذا القائد، الذي كان يتمتع بحس ثقافي، بخلق فضاء عمومي ينفتح على عمليات ثقافية، وموسيقية ومسرحية.

وهكذا، تمت إعادة تملك المنتزه من طرف نخبة من الأشخاص المثقفين والجمعيات ذات الاهتمام بالشأن الثقافي، كالجمعية الأندلسية والجمعية الموصلية، اللتان تنشطان في ميدان المحافظة على التراث الغرناطي والأندلسي.

حداثة المبادرات والتساؤلات في ظل العهد الجديد

لقد توالت العديد من الأشغال والعمليات انطلاقا من 2008، وهي سنوات حاسمة في انطلاقة أشغال التجديد وإعادة الاعتبار في جهة الشرق، بتوجيهات من عاهل البلاد صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

وهكذا، أصبح بيت ليوطي إقامة للفنانين، وتم تحويل جزء من هذه الحديقة مساحته 1,6 هكتار إلى قاعة عروض فنية. أما دار الباشا، التي سبق أن أصبحت مكتبة عمومية، فقد تم تجديدها وفق التقاليد المعمارية للرْياضات الأندلسية. وقد برزت في هذه المرحلة من تطور المنتزه تساؤلات جديدة، يطرحها هذه المرة فنانون ومثقفون من المدينة والجهة :

- كيف يمكن للهندسة المعمارية للمنتزه أن تسهم في ترسيخ ممارسة فنية جديدة ؟
- هل من المناسب تحديد أسلوب يمثل روح هذه التجربة المعمارية الغير اعتيادية بالمغرب ؟
- بأي كيفية يمكن للتجارب الفنية أن تغني تاريخ هذه المغامرة المعمارية ؟
- بأي شكل من الأشكال يمكن للإنتاج الفني البصري انطلاقا من سنة 2008 أن تنهل من التفاصيل المعمارية لكي يطور نفسه ؟

هكذا، بوجدة، لم تعد عملية التثقف تتم فقط عبر المجهود الفكري المبذول من أجل إزهار كل الكفاءات الشخصية.

ومن الآن فصاعدا، أصبح بوسع الإنسان التثقف بواسطة التفكير وعبر تفسير تجربته الذاتية، وكذا عبر المواجهة مع دروس ما قد نصادفه بفضاءات عمومية كحديقة للاّ عائشة ومتحف للاّ مريم. ويخلق هذا التحليل سؤالا متواترا، حول كيفية تأمين وسائل إضافية للمدينة بواسطة عروض فنية في الهواء الطلق، وحفلات موسيقية، وعروض أفلام وعروض الشارع.

هذا المنتزه، بالإضافة إلى دوره الأول كرئة خضراء للمدينة، يمكن أن يصبح نقطة ربط للتذكير، والإخبار ومرافقة الإنسان في سعيه لاكتشافات جديدة مستلهمة من الطبيعة ومن المساحات الخضراء التي تزين معاشه اليومي.

ومنتزه للاّ مريم، في دوره المزدوج كمركز للمدينة في عمومها وكامتداد للمدينة العتيقة، استطاع أن يسهل قران الألوان والنباتات والشجيرات مع التيارات الفنية، كما أنجح الزواج بين القديم والجديد في بداية القرن العشرين، وبين المحلي والزائر، وبين من غادروا الأمكنة ومن تملكوا الثروات التراثية لقران الأحاسيس.

إعدادات ساحرة وإسهامات من إبداع فنانين تشكيليين

أشجار التصفيف لمدينة وجدة

نور الدين كودان
جامعي، أنجز دراسات مخصصة للثروة الحضرية من الأشجار

يدرس الكاتب منذ مدة طويلة المساحات الخضراء الحضرية ويحلل تطورها على ضوء التطورات الاجتماعية والمجتمعية، وبخاصة ما يتعلق بمدينة وجدة. تسمح له كفاءته في آن واحد من تحقيق مقاربة كمية وأيضا من تحليل نوعي للوضعية، وخاصة حول الأصناف المغروسة، والتي ليست دائما مستوطِنة. وتعتبر أشجار التصفيف في الواقع أولى المغروسات التي رافقت التمدد العمراني المخطط خارج أسوار المدينة. وتستمر هذه المواكبة للشبكة الطرقية إلى يومنا هذا.

تعود

أولى مغروسات التصفيف لمدينة وجدة إلى حقبة الحماية. وقد أقيمت لتزيين أول طريق أنشئت خارج أسوار المدينة العتيقة، وهي شارع فوش، الذي دُشن سنة 1917.

أكثر من 100 سنة من الوجود

يقدر عمر المغروسات الأولى بـ 104 سنة. وقد واكبت هذه الأغراس بعد ذلك نمو بنيات حضرية جديدة، وخاصة شبكة الطرق. ومع نهاية الحماية، كانت المدينة تضم 51 كيلومترا من أشجار التصفيف.

وقد استوجب الأمر 50 سنة أخرى لكي يتضاعف هذا الطول مرتين. ثم تسارعت الوثيرة ليتزايد هذا الطول بنسبة 50% في أقل من عشر سنوات. ويزيد طول أشجار التصفيف حاليا على 150 كيلومتر، مما يدل على مدى الاهتمام المخصص لهذا النوع من الغرس خلال السنوات الأخيرة (معطيات مصلحة المساحات الخضراء للجماعة الحضرية لوجدة). وعلى صعيد المحتوى النوعي، فإن موكب هذه الأشجار يتكون من تشكيلة غنية جدا. إنه يضم 33 صنفا، كلها من فصيلة النبات بأزهار وثمار مغلقة (angiospermes)،

أما النبات بحبوب تحملها القشرة (gymnospermes) فهو غائب عن المجال الترابي. أما الأصناف «Arecaceae» و«Moraceae»، وهي من الفصائل الأكثر تمثيلا، بـ 4 و3 صنفا تباعا. وإذا كان صنف «Sophora Japonica» قبل عشر سنوات تقريبا الصنف الأكثر انتشارا، فإن الفترة الأخيرة شهدت بروز صنف جديد، وهو «Brachychiton Populneum» (الداودي، 2009). وهذا الصنف، رغم كونه حديث الإدخال نسبيا في المشهد الوجدي، فهو يمثل لوحده 61 كيلومتر من أشجار التصفيف. هذا النجاح يعود إلى العديد من ميزات هذا الصنف، وخاصة قدرته على التأقلم.

تدبير التراث الشجري

إن التدبير الجاري لأشجار الزينة للمدينة هو من ضمن مهام مصلحة المساحات الخضراء للجماعة الحضرية لوجدة.

وتتدخل مصلحة المساحات الخضراء لولاية جهة الشرق أيضا في هذا المجال.
وتشمل أهم تدخلات المصالح المسيرة على أشغال إحداث وتجديد أشجار التصفيف وسقيها وتخفيفها وتشذيبها. وإذا كانت معظم أشغال الصيانة تدار وتنفذ من طرف مستخدمي المصالح المعنية، فإن اللجوء إلى مقاولات خارجية أصبح أمرا شائعا أكثر فأكثر، وخاصة بالنسبة لأشغال القطع والتخفيف.
لا توجد أية ميزانية مخصصة بالضبط لأشجار التصفيف، فتمويل مصاريف الصيانة يستخلص من الميزانية الإجمالية للمساحات الخضراء، التي تنقسم إلى 6 بنود، وهي :

- 0,5 مليون درهم لاقتناء الأشجار والمغروسات ؛
- 0,5 مليون درهم للصيانة العادية للمساحات الخضراء، الحدائق والغابات ؛
- 0,2 مليون درهم لشراء البذور والأزهار الموسمية ؛
- 30 000 درهم لاقتناء الأسمدة ؛
- 150 000 درهم للمعدات واللوازم الصغيرة ؛
- 0,2 مليون درهم لصيانة الساحات العمومية والحدائق ومواقف السيارات ومطارح النفايات.

تندرج هذه الميزانية كلها ضمن ميزانية تسيير الجماعة، لكن الغلاف المخصص يظل دون مستوى الحاجيات. وعلى كل حال، فإن المسطرة التي تحدد المبلغ لا تستند قط على تقدير حاجيات الصيانة. وبالتالي، فإن الميزانية المخصصة لصيانة المساحات الخضراء لا تكفي لتغطية مصاريف أشغال القطع وحدها بالنسبة لأشجار التصفيف للمدينة.

حالة المعرفة العلمية في الميدان

لقد تم أول جرد لأشجار التصفيف لوجدة من طرف بوكروت سنة 1996. وقد تضمنت هذه الدراسة تعدادا ولائحة لأصناف الأشجار على امتداد المحاور الرئيسية للمدينة. وقد مكن أيضا من التعرف على الحظيرة الشجرية من حيث التركيبة النباتية وتمثيلية كل صنف.

أشجار التصفيف على امتداد شوارع وجدة

وقد اهتم هذا العمل أيضا، ولكن بشكل عام، بالحالة الصحية، مُحصيا الأشجار التي توجد في وضعية «متدهورة جدا» دون تحديد نوعية الضرر ولا المناطق المعنية. هذا الجرد لا يتطرق إلى سن الأشجار ولا لنموها ولمواقع غرسها ولا للتدخلات التي تجري عليها.
وهناك عمل ثاني يهتم بالجانب النوعي لهذه الأشجار. وهو يصف بدقة أصناف أشجار التصفيف للمدينة : التكوين النباتي والمراحل التشكلية وتمثيلية الفصائل النباتية والتفرعات والأصناف، الخ. تندرج هذه الدراسات ضمن أعمال البحث التي باشرها قسم البيولوجيا لكلية العلوم لجامعة محمد الأول لوجدة.
وبشكل عام، ورغم كونها تنجز بتشاور وبمساعدة من المصالح المدبرة للقطاع، فإن الدراسات لا تستجيب إلا جزئيا للحاجيات الفعلية من معرفة وتسيير للمنتزهات المشجرة.

وعلى صعيد المصالح المسيرة، فإن المعرفة المتعلقة بهذه الحظيرة هي مجزءة وتستند بجزء كبير على الذاكرة، والتجربة وملاحظة الأشخاص المعنيين بتدبير هذه الثروة.
هذه المعطيات تشكو بالتالي من غياب تحليل للمعطيات في المكان والزمان، ولا يمكنها في أي حال من الأحوال إرساء سياسة فعالة للتدبير الفعال للتراث الشجري.
وكعلاج لهذا الخصاص، تم إعطاء الانطلاقة لعمل جديد. يقترح هذا العمل وضع كمية من المعطيات المنظمة حول أشجار التصفيف للمدينة رهن إشارة مدبري الحظيرة وكذا الباحثين.
هذه المعطيات، إضافة إلى كونها تمكن من تشخيص موضوعي للحالة الراهنة لهذه المغروسات، ستمثل أيضا إسهاما كبيرا لقيادة وتوجيه التدخلات القادمة.

منتزه أداشي للكائنات الحية
حديقة يابانية شاسعة، وحديقة حيوانات ومتحف للفن الحديث

أداشي زنكو، الذي رحل سنة 1990، خصص حياته لفن الرسم الحديث والمعاصر الذي أنتجه فنانو بلده. وقد ساهمت الحديقة اليابانية الشاسعة المحيطة بالمتحف الذي أقامه، والتي تبلغ مساحتها 16,5 هكتار، في إضفاء المزيد من التألق على هذا المتحف. والحديقة في حد ذاتها تعتبر عملا فنيا حيا.

في الواقع، تتغير ألوان مشهد الحديقة مع تعاقب المواسم. هذه الحديقة، الممنوعة على الجمهور، يعاينها الزوار من وراء جدار زجاجي. وقد صممت لتحدث تناغما وانسجاما تامين. فبمجرد أن يكبر حجم شجرة أو دغل، يتم تعويضه بغرس من نفس الجنس صادر عن المشتل أو البيت المغطى المخصصين لهذه الغاية. يستقبل المتحف فنانين ذائعي الصيت من العالم بأسره. وقد اقتنى أراضي بالجبل الخلفي ويتحكم بالتالي في المشهد المنظور بإقامة نفس أصناف المغروسات.

يتطور المتحف وخلفيته الطبيعية إذا مجتمعين نحو نفس الألوان في نفس الوقت. هكذا، فإن المشهد الخارجي يستعار لتمديد الحديقة وفضاءاتها الستة :

- المشهد الطبيعي الجاف والحديقة الرئيسية، المعروفة أكثر ؛
- حديقة الطحالب ؛
- حديقة الصنوبريات والحصى الأبيض ؛
- الحديقة ذات البركة المائية ؛
- الشلال كيكاكو ؛
- حديقة بيت الشاي، وهي الوحيدة التي يمكن عبورها.

تستقبل قاعتا شاي تقليديتين الزوار. وتعرض حديقة الحيوانات ثدييات وطيور وزواحف وحشرات وفراشات وسلاحف... ويقضي الزوار غالبا ساعات من الإقامة بمنتزه أداشي.

مؤطر لهيئة التحرير

المساحة الخضراء بالمدينة، احتياج قوي وتاريخي للنفسية الجماعية

فيليب ميشيل
مهندس ومستشار في التواصل

دون أن نستعرض الدور الأساسي للماء في البستان العربي التاريخي، لنلاحظ أن العودة لمصدر هذا التقليد في تهيئة المساحات الخضراء هو مفتاح للاستدامة بالمعنى الحديث للكلمة. بل أكثر من ذلك، يمتلك هذا النموذج من القوة والانتشار ما يخوله أن يتملك مفاهيم جديدة، وتكنولوجيات مبدعة وأحدث المعارف من أجل إدامة التواجد النافع لطبيعة متحكم فيها، بأشكال مختلفة مسخرة بأكملها لحياة هنيئة ومريحة، على أصعدة عديدة.

كان للبحث عن الانسجام الدائم والجمال في الفضاءات الحضرية ماض قبل أن يكون له حاضر وما زالت النماذج القديمة تؤثر في عصرنا الحالي. وقد أصبحت الحداثة مشفرة أكثر، وأكثر علمية وتقنية. يتجلى ذلك عبر العديد من النصوص المخصصة لتوجيه، وربما لتأطير، أرباب القرار والمصممين وكذا المتدخلين الميدانيين.

إرجاع القيمة لثقافة المساحات الخضراء القديمة

في العصر الحجري الحديث (Néolithique)، خلف منتوج البستان من الزراعات المعيشية الحبوب والفواكه. وإلى جانب هذه الزراعة، ظهرت الحاجة بالمناطق الجافة إلى حماية النباتات بحاجز أو سور يحبس الرياح التي قد تجفف التربة والنباتات. فالبستان القديم كان غالبا على شكل أرض محاطة بغاية الاستغلال الأمثل لمادة كانت منذ ذلك الوقت نادرة وهي الماء.

وقد كانت بعض الأشجار العالية تستعمل أولا للمحافظة على الطراوة والرطوبة بالنسبة للمغروسات المعيشية الأقصر، هذا المبدأ مازال قائما.

وسبقت الحدائق البيزنطية والفارسية الحدائق العربية وحدائق الرهبان المسيحيين. وقد مزجت البساتين الوسيطة للأديرة بشكل متناسق النباتات الغذائية والنباتات المخصصة للزينة.

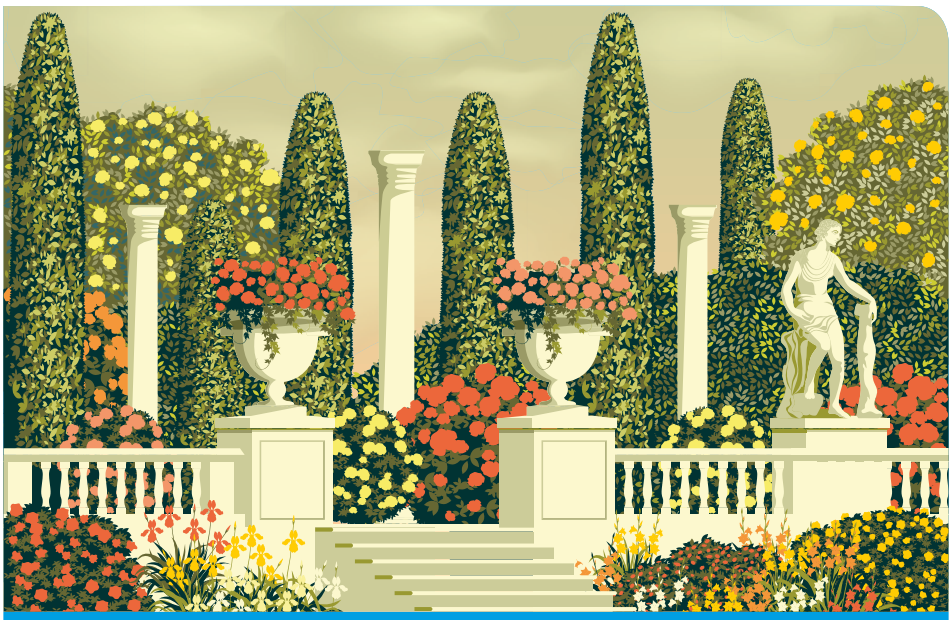

إعادة تشكيل حديقة قديمة بروما

تعتبر الأندلس الموطن الذي تفتقت فيه أشهر الحدائق العربية، أبرزها وأشهرها هي دون شك حديقة القصر الصيفي أو جنة العريف بغرناطة. ونجد فيه الخاصيات التقليدية لهذا النموذج، ومنها المستويات الثلاثة المتمثلة في الظل الذي تحدثه أوراق الشجر العالية، والمغروسات، ثم الماء الذي ينهي مساره الأمثل في الري، بعد مروره من القنوات والنوافير. كما نلاحظ طريقة تقليدية أخرى في التهيئة تسمى «مسار الظل»، الذي يسمح لكل زائر أن ينجز نفس المسار في الشمس أو في الظل حسب رغبته.

هذه الإبداعات، التي أعدت لتتعارض مع العالم الطبيعي الذي ينظر إليه كشيء متوحش، تترجم لحظة حضارية سامية توافق فيها واكتمل التحكم في هندسة الخطوط مع فن الزخرفة. وكخلاصة، فإن المعارف الأسمى للحقبة كانت مسخرة على أعلى مستوى في تصميم وانجاز هذه الحدائق. وليس مستغربا أن نحتفظ في الذاكرة بالنسبة لأهل الكتاب، بأن البستان ما هو لا أقل ولا أكثر، إلا لمحة أرضية للفردوس العلوي...

مساحات خضراء وحدائق منذ بداية البيت

الانتروبولوجيون والمحللون النفسيون يعتبرون أن الصياد اللاقط للعصر الحجري القديم قد قطع حوارا متناغما مع الطبيعة التي كان يكسب منها قوته عند إقامة الملاجئ الأولى التي أرادها دائمة وبالتالي ثابتة، ليمر إلى الفلاحة وتربية الماشية في العصر الحجري الحديث. وابتداء من هذه القطيعة قد يُؤرخ نقص في الطبيعة، والرغبة في استعادة نوع من الكون المتخيل، نوع من «الفردوس المفقود» الذي ما زالت تحمله البشرية في العصر الحديث كما تظهره رسومات الأطفال التي تمثل تصورهم للمنزل. فهم يعبرون حقا عما يلهمهم ولكن أيضا الأنا العميقة وذاتهم المتأثرة بالنفسية الجماعية.

إن هذه الطبيعة «الخضراء» التي تطالب بها المستوطنات البشرية لن تعود أبدا «متوحشة»، ولكن منظمة ومروضة، في آن واحد من أجل تفادي كل خطر وكذا لتلبية حاجيات، غذائية دون أن ينحصر الأمر في ذلك، وللتعبير عن جمالية تحملها كل حضارة. بالمغرب، كانت الدار التقليدية في معظم الجهات تتكون من فناء مغروس بأشجار مثمرة : الزيتون، التين، كرم، خروب... وقد كانت الحديقة الداخلية تلعب دورا ثلاثيا : تأمين الطراوة في فصل الصيف وإنتاج فواكه موسمية وإعطاء جمالية للبيت. وقد كانت هذه الحديقة داخلية، وبالتالي كانت محمية من الرياح الحارة ومن الغرباء الذين قد يريدون الاستفادة من غلتها دون إذن أصحابها. أما الفضاءات الدائرية فقد كانت تلعب دور ملجأ للاسترخاء والاستجمام بفضل «السقايات» و«العراسي» والبساتين.

المساحات الخضراء تفرض نفسها على المدن الجديدة

لقد أحدثت مستوطنات بشرية على امتداد الحقب والفترات وفي كل القارات.

حدائق القصر بإشبيلية

حدائق القصر بقرطبة

فإذا اقتصرنا فقط على المدن الجديدة التي نتوفر في الأرشيفات المتعلقة بها على وثائق مفصلة للفترة التي سبقت إنشاءها، فإننا نقف جليا على أهداف مصمميها.

ذلك هو الشأن مثلا بالنسبة لسان بترسبورغ (Saint-Pétersbourg) المقامة سنة 1703 بروسيا أو لا روش سير يون (La Roche-sur-Yon) بفرنسا المشيدة سنة 1804 من طرف مهندسي القناطر والطرق للإمبراطورية الأولى.

في هذه الفترات، كان الحديث عن التجميل، والتنميق وعن بعض الإضافات المباشرة المحددة بدقة التي توفرها الأغراس، كالظل مثلا، أو التحكم في المياه الراكدة أو الجارية. وقد فكر بعض الرواد في أبعاد أخرى وفي إدخال مساحات خضراء في إحداث الإطارات الحضرية الحاملة لأنماط حياتية.

وقد كانت خطابات هؤلاء المصممين حول هذه الانجازات تثير الانشغالات الصحية والاجتماعية، والتناغم مع الطبيعة، والموارد الغذائية، الخ. إنها نموذج حوض الملح الملكي لـ أرك إي سنان (Arc-et-Senans) الذي صممه المهندس المعماري كلود نيكولا لو دو (Claude Nicolas Ledoux) في نهاية القرن الثامن عشر، بحدائقه التي وضعت رهن إشارة الساكنة من أجل زراعة مواد غذائية.

الحدائق في خلفية السكن العمالي : أحواض الملح الملكية بأرك إي سنان (Arc-et-Senans)

حدائق قصر بيترهوف بسان بترسبورغ

تعتبر هذه التجارب أولى محاولات الموجة الصحية التي ستزدهر طوال القرن التاسع عشر في مجال التعمير والهندسة المعمارية. وسيشكل السكن العمالي الحقل المفضل للنقاشات بين الخبراء، حيث كان بعضهم ينادي بالسكن المنفرد وبعضهم ينادي بالسكن الجماعي. وفي كل الحالات كانت الحدائق مقررة، فردية وجماعية، وكان السكان مبدئيا مطالبون بزراعتها، وخاصة بتأثير من أفكار جان جاك روسو. وهكذا، فإن المفهوم التجمعي (familistère) يتضمن حديقة خضروات وبستان أشجار، ولكن أيضا مساحات خضراء للاستجمام تتخللها نوافير وتماثيل.

وقد أصبحت الحدائق الخصوصية للحواضر العمالية لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين - كما هو الأمر بمدينة جرادة بمنطقة الشرق المغربية - بمثابة مؤشر اجتماعي، مخصص لرفاه الساكنة (وفرة الأزهار والمغروسات وأشجار الزينة) والمساحات الخضراء تعني الأحياء «ذات الامتيازات».

في المقابل، فإن المساحات الشاسعة التي تم تعميرها (حي الرياض نموذجا)، كما المدن الجديدة (كبرازيليا) فإنها ستتوفر كلها على حدائق كبيرة وتنتعش بمغروسات متنوعة، على طول الشوارع الرئيسية بالخصوص.

الاضطرابات الحضرية للمدن التي عرفت نموا سريعا

تغطي عبارة «المساحات الخضراء الحضرية» كل الامتدادات، المعشوشبة أو المغروسة بمختلف أنواع النباتات الحية، داخل مستوطنة كيفما كان حجمها، وتظهر الأهمية الحيوية لهذه المساحات عبر العديد من الفوائد. يتعلق الأمر بالخصوص بالغابات والحدائق، والمنتزهات وبأشجار الطرق والمسالك.

في السابق، كانت الأحياء الأوروبية أو العصرية في المغرب تتميز بغرس أشجار الزينة، عوض الأشجار المثمرة أو الغابوية.

وضمن هذه المقاربة الجديدة حينها لتنظيم المدن، كانت التصاميم الحضرية الأولى، تولي أهمية كبرى لتخصيص مساحات غير قابلة للبناء.

حي الرياض بالرباط، «حدائق العاصمة»

هكذا كان عنوان أول كتيب للتعريف بهذا الانجاز المغربي الرئيسي والرائد لتعمير وتهيئة متحكم فيهما. هذا الحي الذي يسمى «المدينة - الحديقة» تبلغ مساحته 570 هكتارا. وقد قامت شركة تهيئة الرياض بتصميم هذه الحديقة المعمرة، حيث قامت بغراسة 38 000 شجرة، سيما على طول 124 كيلومتر من الطرق، موفرة في نفس الوقت كل الوسائل الضرورية للصيانة والسقي.

تصميم حي الرياض، كما أعدته شركة تهيئة الرياض

وقد تم في كل قطاع سكني غرس نبتة معينة من بين 25 صنفا نباتيا من منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهي تعطي إسمها للقطاع السكني والمطلوب من السكان أن يتبنوا النبتة وأن يجعلوا منها النبتة المهيمنة في حديقتهم الخاصة. وقد أخذ كل طريق إسم نبتة تتميز بفوائدها وميزاتها بالنسبة للإنسان، مثل شارع النخيل، شارع العرعار ...

هكذا تتواصل 5 000 عائلة تتوفر على مسكن انفرادي، وساكنة شقق العمارات وكذا مأجوري المقاولات الكائنة بالمدينة، بواسطة عنوان يحمل اسم نبتة. إنها أحسن طريقة يشعر فيها المرء أنه يسكن حديقة أو يشتغل فيها.

حي الرياض، أجواء حضرية لمدينة حديقة

وقد خصصت التصاميم المديرية وتصاميم التهيئة منذ أربعينيات القرن الماضي، مناطق خاصة بالحدائق العمومية وبالمنتزهات.

لكن التوسعات التي تلت لم تحترم دائما التصاميم الأصلية. وقد شوهت المضاربات العقارية طبيعة العديد من المدن وشوهت جماليتها بالمبالغة في الكثافة السكانية ومحو المساحات الخضراء. وقد تغير المعطى الحضري مع التوسع القوي والمتواصل غير المخطط في الغالب وفي كل الاتجاهات للمدن منذ بداية القرن العشرين وموجات الهجرات القروية.

حينما تمكن الاضطراب من الوضعية، بدأت تظهر بعض الاختلالات على صعيد التنظيم المجالي. وقد تعلق الأمر أحيانا أيضا بتجزئات جديدة أنجزت بين سنوات 1960 ونهاية القرن العشرين.

واليوم، في عصر الإيكولوجيا والتنمية المستدامة، تعتبر المساحات الخضراء مكونات أساسية في التنظيم الحضري لإقامة شروط حياة سليمة ومتوازنة. وهي تلعب دورا أساسيا في تناغم الحياة الحضرية.

بالنظر لقربها، فهذه المساحات تمنح امتيازات للأحياء المجاورة والأوساط ذات الكثافة السكانية المرتفعة التي تفتقر لها حينما تستطيع الاستفادة منها. وهكذا، يشير العاملون في سوق العقار، بأن هذه المساحات الخضراء تؤثر ارتفاعا في أسعار السكن.

لقد جاء الخلاص مع انجاز أحياء جديدة أو مدن جديدة بفضل إسهامات مهندسين معماريين ومصممي حدائق، وأيضا بفضل إرادة السلطات في تحديث الأنسجة الحضرية وإعادة تثمين الفضاءات، الخضراء منها وغيرها. وهكذا تضاعفت المساحات العمومية، واتسعت الشوارع وظهرت الحدائق والمنتزهات. ويعتبر حي الرياض بالرباط، نموذجا مثاليا ومرجعيا في هذا الصدد.

مفتاح حياة المساحات الخضراء الحضرية : الصيانة

تقنيا، يتطلب وضع المساحات الخضراء والصيانة لائحة طويلة من العمليات.

خاصة : اختيار ووضع التربة، انتقاء المغروسات على مستوى المشتل، تهيئة حفر الغرس، الغرس، السقي، المتابعة والحماية، التقويم، إزالة الأعشاب يدويا وكيميائيا، تشذيب وإزالة الأغصان ذات الاتجاه السيئ أو المنافسة، إزالة الحطب الميت، التهوية، القطع وتدبير النفايات. كل هذه العمليات تتطلب وسائل تقنية وحرفيين متخصصين.

تكتسي عملية الصيانة أهمية حاسمة. وهي تجند مهارات معترف بها وكذا معدات نوعية. وهذا الأمر حقيقي اليوم أكثر من أي وقت مضى حيث يتوجب التقليص من استعمال المركبات الكيماوية للصحة النباتية، وخفض استهلاك الماء وإعادة استعمال القش... باختصار، تبني ممارسات أكثر إيكولوجية. وتبقى صيانة المساحات المخصصة للمساحات الخضراء وجودة غطائها النباتي رهينة العديد من العوامل، ولا سيما الغلاف المالي المخصص لانجاز واستمرارية هذه المساحات.

كما أنها تظل أيضا رهينة جودة الموارد البشرية المسخرة في مجال تثمين هذه المساحات وفي أهليتها لإنجاز كل التدخلات الضرورية.

في الواقع، يرتهن نجاح العمليات التي تقوم بها الموارد البشرية المرصدة لإنجاز الأشغال في المقاربة التي يتم اعتمادها في اختيار المواقع المخصصة للمساحات الخضراء، ولكن أيضا للأهمية التي يوليها السكان لهذه المساحات التي لا تخفى أهميتها في تحسين حياتهم اليومية.

وتظهر اكراهات جديدة كمتطلب حماية سلامة وطمأنينة المواطنين والتي ترافق متطلب حماية المساحات الخضراء من الأضرار التي تتسبب فيها السلوكيات غير السليمة. فالحراسة إذا هي عنصر ملازم بالنسبة للصيانة العصرية.

احترام التصاميم المديرية والمقاييس الدولية

في جهة الشرق، نلاحظ فوارق ملموسة بين المدن في مجال المساحات المخصصة للحدائق والمنتزهات وفضاءات الترفيه.

يمكن أن نلاحظ هذه الفوارق حتى على صعيد نفس المدينة، كما هو الحال بالنسبة لمدينة الناظور، بوعرفة، تاوريرت، وجدة وبركان، حيث لا تتوفر بعض الأحياء على أي مساحة خضراء. على الصعيد العالمي، يتمثل المرجع بالنسبة للمساحة الخضراء بالنسبة للفرد في 10 إلى 15 متر مربع، بينما يوجد في حدود متر مربع واحد بالنسبة للمغرب...

الأدهى في الأمر هو أن هذه المساحات في تقلص مستمر نتيجة ضعف الصيانة، وسوء التسيير، بل وحتى عدم ملائمة الوسائل البشرية والمالية. ومن جانب آخر، فإن المساحات المخصصة للغطاء النباتي ولراحة المواطنين لا تنجز في إطار رؤية مستقبلية تأخذ بعين الاعتبار النمو المستمر وتطور الذهنيات. كما أن تعدد العمارات الاقتصادية والولوج الأسهل للسلف والذي يشجع على الملكية العقارية يمكن أن تكون لها أيضا انعكاسات سلبية على حصة المساحات الخضراء. في حين أن سكان الأحياء أو العمارات بالأحياء ذات الكثافة السكانية المرتفعة هم من بحاجة لمساحات للعيش الأفضل. والتصاميم المديرية الجديدة أصبحت متطلبة ولا يمكن التصديق عليها دون الاحترام الدقيق للمقاييس والمساطر. فالأنظمة أصبحت إذا مكرهة لكنها في نفس الوقت منقذة.

مساحات خضراء بالمدينة : لماذا ؟

اليوم، لقد أصبح معروفا ومقاسا بأن المساحات الخضراء الحضرية تسهم في الصحة البدنية لسكان المدن، وخاصة في جودة الهواء، بتقليص التلوث، وبحبس غاز الكربون وفي المساهمة في امتصاص جزء من ضجيج المدينة. أكثر من ذلك، تقلص المساحات الخضراء آثار الظواهر الطقسية القصوى (موجات الحر، التساقطات المطرية الاستثنائية، الفيضانات...)، وهي فوائد حاسمة في عصر التقلبات المناخية.

كما أن هذه المساحات تقوي الصحة العقلية والحالة النفسية للساكنة. إنها فوائد مجتمعية لها علاقة بالحس الجمالي وبالجاذبية اللاشعورية نحوه، وكذا بمتعة النظر والحركة في هذا الفضاء. وتتويجا لذلك، يلتقي العديد من هواة الرياضة والترفيه إذا ما سمحت لهم الظروف بذلك.

إلى كل هذا ينبغي إضافة إلى خاصيات الترويح عن النفس التذكير بالوظيفة الواضحة للتلاقي، والتي لا تخفى فوائدها على الحياة الاجتماعية.

فالمساحات الخضراء هي إذا تتويج إلزامي لمبدأ المدينة المستدامة، وهو مكون أساسي لمشروع ينبغي أن يبحث عن الفوائد البيئية، والثقافية، والاقتصادية والاجتماعية، ويوفق بينها.

المشاتل، إحدى مفاتيح الصيانة وتمديد المساحات الخضراء

منتزه للطيور على بحيرة مارشيكا، ملتقى الطيور المهاجرة

سعيد ازواغ
منسق الوحدة الجهوية لمجموعة البحث لحماية الطيور بالمغرب / جهة الشرق

تمنح مجموعة البحث لحماية الطيور بالمغرب، وهي منظمة غير حكومية، إطارا للعمل والتقاسم حيث تستثمر مختلف المهارات بشكل تطوعي وقتها، وتجربتها ومعرفتها من أجل حماية الطبيعة. وجهة الشرق الشاسعة ذات الثروة الاستثنائية في مجال الطيور، هي فضاء ملائم لنشاط هذه المجموعة، لذا فقد أشركها أرباب القرار بشكل طبيعي في التفكير ثم في قرار إنشاء منتزه للطيور.

بحيرة

مارشيكا (سبخة بوعرك) موقع رمسار (منطقة رطبة ذات أهمية عالمية) منذ 2005. وهي أيضا البحيرة الثانية بحوض البحر الأبيض المتوسط من حيث المساحة. منذ 2008، سرّعت العديد من التحولات، وإنشاء تجهيزات وعديد من التهييئات، عملية إزالة التلوث التي كان يشل البحيرة :

- فتح ممر «بوقانا» الجديد (بعرض 300 متر وعمق 6 أمتار) من أجل تسريع مجرى المياه مع البحر الأبيض المتوسط ؛
- بناء المحطة الجديدة لتصفية المياه من أجل تجميع ومعالجة المياه المستعملة للناظور الكبير ؛
- تهيئة الضفاف وخلق كورنيش الناظور، بشاطئها الاصطناعي، وببني أنصار وقريبا بأركمان ؛
- إحداث الميناء الترفيهي لأطالايون مع العديد من المنشئات التجارية ؛
- تحويل أحواض الترسب للمحطة القديمة لمعالجة المياه العادمة لشعالا إلى منتزه للطيور، وهو تغيير من فضاء ضار إلى مكان للترفيه والمتعة.

يمتلك منتزه الطيور الذي تبلغ مساحته 41 هكتارا فسيفساء من السكن المتنوع :

- أحواض قصبية تصلح لعيش أنواع من الطيور ومنها دجاج الماء ؛
- أراضي ملحية تحتوي على ساليكورن ونباتات أخرى (مصدر غذاء للطيور في الشتاء وملجأ للفراخ في الصيف) ؛

نورس أو خطاف بحر

نحام وردي

- أحواض مائية ذات ملوحة مختلفة (ماء عذب إلى ماء مالح)، وعمق مختلف وتنوع طبيعي مختلف، ويتوفر على قشريات صغيرة (crevettes) وأسماك ؛

بلشون أبيض

منتزه الطيور، مركز الاستقبال

• ممر مائي، براسب غني بالديدان والقشريات لتغذية مختلف أنواع الطيور المتواجدة من طيور الرمل، نحام وردي وطيور أخرى آكلة سمك ؛
• مجالات مهيئة بنباتات غنية بالحبوب التي تجلب الطيور التي تتغذى بالحبوب مثل العصافير والزرازير.

حسب تشخيص سنة 2003، تتوفر بحيرة مارشيكا على لائحة إجمالية تصل إلى 122 نوعا من الطيور، منها 37 تضع أعشاشها بالموقع أو بجواره القريب من بين 480 نوعا مقيما أو عابرا.

طائر الرمل

ويبلغ عدد الأصناف ذات الصبغة التراثية 17 صنفا منها صنف ذو أهمية عالمية و16 صنفا ذات أهمية وطنية (منها صنف واحد مهدد و15 صنف نادر).

فقيمة الموقع كمنطقة توقف أثناء الهجرة وقضاء فصل الشتاء بالنسبة للطيور المائية أكيدة.

وبالفعل، خلال مراحل السنة، تكون أصناف هذه الطيور غنية ومتنوعة، وخاصة منها البط، وساكني المستنقعات الممثلة بالعديد من الأصناف ذات الأعداد الوافرة.

منتزهات الطيور

عددها لا بأس به بأوروبا، وخاصة بفرنسا التي تضم قرابة 10 منتزها من بين الأكثر تميزا.

منتزه كامارك (بالقرب من قنطرة كو) يشبه من حيث نظامه الإيكولوجي، وأصناف الطيور والمساحة (60 هكتار) منتزه مارشيكا.

أما المرجع، فيظل العميد، منتزه الطيور لدومب (منطقة رطبة جدا شمال مدينة ليون) بسنواته الخمسين للوجود، وأصنافه الـ 600 ومنها 60 مهددة...

غالبية منتزهات الطيور بدأت كمناطق تتواجد فيها أقفاص كبرى للطيور، كانت تضم «مجموعات» مستوطنة أو غريبة، تتفاوت وفرتها وأهميتها حسب غناها الحيواني. وقد كان منتزه كامارك ومنتزه دومب من الأوائل اللذان اقترحا للزوار اجتياز فضاءات طبيعية مشيا، حيث بالإمكان مشاهدة الطيور بدون قيد، وهو تحول بدأ مع ستينات القرن الماضي.

كما هو الأمر بالنسبة لفرنسا، يعتبر المغرب ممرا مميزا ومكان توقف بالنسبة للطيور المهاجرة في طريقها في محور شمال - جنوب. ومن الطبيعي أن نجد بها أصنافا معروفة - وخاصة الأصناف النادرة - لا سيما بالمناطق الساحلية الرطبة.

وهكذا، فإن بحيرة مارشيكا تظهر كموقع نموذجي والطابع السياحي للمنطقة يضمن لها العديد من الزوار.

أما الأصناف المعششة فهي أقل تنوعا وعددها أقل، باستثناء الزقزاق ذو الطوق والخطاف القزم. وقد قدر عدد الأولى بأزيد من 390 زوجا، وهو أكبر عدد ملاحظ بالنسبة لهذا الصنف بالمناطق الرطبة المغربية وعلى الأرجح على مستوى جهة البحر الأبيض المتوسط الغربي.

ودائما حسب تشخيص 2003، تمت ملاحظة تناقص أعداد الطيور البالغة المعششة من أبو ساق الأبيض (Echasse blanche) وكذا من أفوسيت (Avocette élégante).

في سنة 1980، أشار تتبع قام به باحثون إسبانيون إلى غياب أعشاش لصنف من أصناف خطاف البحر (sternes Pierregarin) وعدد محدود من الخطاف القزم (sternes naines).

وبعد إزالة التلوث وتهيئة موقع مارشيكا، بدأ خطاف البحر في العودة منذ 2014. وهي تعشش منذ ذاك مع الخطاف القزم في جزيرات البحيرة.

كما أن فصيلة Ralle d'eau، وهي صنف جفول، فقد لوحظت تقضي فصل الشتاء سنة 2017 و2019، ثم أيضا في صيف 2021، مما قد يشير أنها عادت لتعشش بالموقع.

وابتداء من 2015، تم التصريح بأن فصيلة (le chevalier gambette (Tringa totanus التي كانت تعشش في السابق في تونس أصبحت تعشش بالمغرب وبموقع مارشيكا فقط. وفي سنة 2020، تمت أيضا ملاحظة عصفور الصحراء (le bruant du Sahara) أثناء الأكل بمنتزه الطيور للناظور.

وعلى مجموع بحيرة مارشيكا، بما فيها المنتزه، فإن فصيلة الطيور المحصية في السابق ما زالت موجودة، عددها فقط يتغير من سنة لأخرى وحسب المواسم.

فهناك طيور مقيمة دجاج الماء (poule d'eau)، أبو ساق أبيض (échasse blanche)، بط...، وطيور معششة (خطاف البحر، سبر ذو طوق (glaréole à collier)، طائر أبو ملعقة أبيض (spatule blanche) وطيور عابرة (مالك الحزين أرجواني...) في مرحلة ما قبل وما بعد الولادة.

بالقرب من مركز الاستقبال

وحسب تتبع الخواتم الأبجدية الرقمية واللونية، فإننا نجد على البحيرة وفي المنتزه :

- نحام وردي من فرنسا، هولندا، ألمانيا، إيطاليا والجزائر ؛
- طائر أبو ملعقة أبيض (spatules blanches) من هولندا وألمانيا ؛
- طيور غاق كبيرة (grands cormorans) من هولندا وسويسرا ؛
- بارجات ذات الذيل الأسود (barges à queue noir) من ألمانيا ومن أنجلترا ؛
- خطاف بحر قزوينية من الدانمارك وفنلندا ؛
- كويلاند أودوان (goélands d'Audouin) قادمة من إسبانيا ومن الجزر الجعفرية ؛
- طائر الرمل (bécasseaux variables) من بولونيا.

ويتطلب الحفاظ على هذه الثروة الطبيعية تحسيسا على صعيد المدارس، ولدى المواطنين وكذا الزوار، من أجل الوصول إلى سياحة تهتم بالطيور وتنمية مستدامة للبحيرة.

الكلمة للسيد سعيد زرو الرئيس المدير العام لشركة مارشيكا ميد

1- مفهوم منتزه الطيور يستند على إمكانات الموقع. ويمكن أن يحصل على مشروعيته على المستويات المحلية، الحضرية، الجهوية والوطنية وحتى الدولية. ما هي الأهداف التي ينبغي تلبيتها على مختلف هذه الأصعدة ؟

سعيد زرو : أهدافنا تتعلق بالفعل بكل مستويات التفكير والعمل، لكن أفضل أن أرتبها وفق أهداف وقطاعات مستفيدة، والتي هي من نوعيات مختلفة. فالهدف السياحي هي تأمين مختلف أصناف الإيواء للزوار، سواء كانوا ملاحظين أو مختصين، هواة أو محترفين. وفي مجال التعمير، يتوجب خلق انسجام في الانتقال من كورنيش الناظور نحو قناة جنان المطر (المركز الحضري الجديد للناظور). كما أن هناك أهداف اجتماعية ومجتمعية ترمي إلى تحسيس السكان بالمحافظة على الطبيعة بالموقع ومحيطه. وأخيرا، لدينا هدف تحفيز الاستثمار، عبر تأهيل الوعاء العقاري المجاور للمنتزه، الذي يوفر مشهدا طبيعيا رائعا.

2- إنجاز واسع وطموح كهذا الانجاز تطلب مرحلية دقيقة ومتدخلين عدة. ما هي مكونات النجاح ؟

سعيد زرو : في مجال الموارد البشرية، كان السعي هو جمع الخبراء الوطنيين والدوليين من المستوى الرفيع. فبالنسبة لمشروع من هذا الطموح، يجب الانتقاء من بين الأفضل. فالوسائل التقنية هي بالطبع قوية ومن الجيل الأخير حيث كان الأمر يتعلق بإنجاز أشغال ضخمة في حيز زمني ضيق، بأفضل النتائج الممكنة، لا سيما بخصوص تجريف التربة وتدعيم الحواجز البحرية، أو أيضا المغروسات والمنقولات، وكذا إعادة استعمال المواد المحلية.

وفيما يخص المعرفة العلمية، أقمنا تعاونا مثمرا مع مكتب دراسات عالمي مختص في مجال تهيئة الفضاءات الطبيعية والعديد من الشراكات العلمية، وخاصة مع مؤسسة محمد السادس للمحافظة على البيئة وكونسرفاتوار الساحل الفرنسي. ولا أنسى التحكم والإبداع الهندسيين لإنجاز موقع الاستقبال المرتبط بالمنتزه.

3- ما هي المكانة التي سيحتلها المنتزه في نمو التجمع الحضري الذي ينتظم حول الناظور، مع مشروع الناظور غرب المتوسط والعمليات العديدة والمتنوعة التي تعيد الحياة للحاضرة ؟

سعيد زرو : سيساهم المنتزه في كبح آثار العمران السريع بما قد يكتسيه من أشياء سلبية في غياب تحكم كاف، بالحفاظ على أقصى المؤهلات الطبيعية لهذه المنطقة. وهذا المنتزه لن يساهم فقط في تثمين العرض السياحي لمدينة الناظور، لكنه سوف يمكن الساكنة المحلية وساكنة الجهة من الاستفادة من مساحة خضراء شاسعة. وسيتم تثمين المنتزه من أجل الترويج لمارشيكا والناظور كوجهة سياحية مستدامة، وسيشكل مكونا رئيسيا لصورة الوجهة ورافعة أساسية لجاذبيتها.

4- إلى ما بعد عملية بحيرة أبيدجان، هل المهارة والخبرة التي تم اكتسابها قابلتين للتصدير، وهل هما نموذجيين ؟

سعيد زرو : بالفعل، يتعلق الأمر بمعرفة وباستفادة من تجربة مبنية على مبدأ تحويل مضرة إلى متعة. إنها تكوين لخبرة إفريقية، نجحت في دولة إفريقية وبمقدورها أن تنجح على مستوى القارة لمعالجة إشكاليات مرتبطة بمشاريع واسعة للتهيئة مماثلة أو ذات المواصفات القابلة للمقارنة. لقد طورت مارشيكا ميد العديد من المهن، مثل التهيئة الترابية المستدامة، التنمية السياحية المحترمة للبيئة، الحركية والولوجية، وكذا إعادة هيكلة وإعادة تأهيل المواقع. وعرض مارشيكا ميد مندمج ويمكن أن يتكيف مع العديد من الإشكاليات. وقد أثار نموذجنا اهتمام العديد من الدول الإفريقية إلى جانب كوت ديفوار، حيث نعمل بنجاح.

وتحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، أصبح نموذج مارشيكا مرجعا بالنسبة لتهيئة المناطق الرطبة بإفريقيا. وقد أعتبر كمثال ضمن المشاريع التي تندرج في نموذج التعاون جنوب-جنوب الذي أراده عاهلنا المفدى، كما يذكر بذلك خطاب العرش لسنة 2016.

حديقة الجامعة العربية، فضاء تاريخي ونقطة اجتذاب جديدة للدار البيضاء

عزيز ضيوف
صحفي

يخفق هذا القلب الأخضر في وسط العاصمة الاقتصادية. وقد جددت أشغال التهيئة الأخيرة الهامة، من جاذبية هذا المنتزه وأعادت للزوار الفضاءات التي كانت في حالة متدهورة أو يتعذر الولوج إليها مع مرور الوقت. وقد أقيمت الآن تجهيزات للراحة وتهيئة ملائمة لأساليب الترفيه العصرية، كما تم ضمان الأمن والصيانة. وقد استطاع المنتزه أن يحافظ على عمقه وعبقه التاريخين مع الولوج إلى الحداثة.

حديقة الجامعة العربية، رئة وسط مدينة الدار البيضاء، اكتست حلة جديدة، بفضل استثمار بلغ 100 مليون درهم، ساهم فيه مجلس جماعة الدار البيضاء بـ 45 مليون درهم، والمديرية العامة للجماعات الترابية بوزارة الداخلية (35 مليون درهم) ومجلس جهة الدار البيضاء - سطات (20 مليون درهم). وقد أصبح من الممتع ارتياد الحديقة وحيدا أو رفقة العائلة لممارسة الرياضة أو لتنفس هواء نقي والاستمتاع بطراوة المكان، أو للنزهة والترويح عن النفس والتخلص من آثار أعباء يوم أو أسبوع من العمل.

مؤشرات الحداثة الجديدة للمنتزه

منذ الافتتاح في ماي 2021 في أوج معضلة كوفيد - 19، تملك سكان الدار البيضاء والسياح المكان. فقد حطم ارتياده الأرقام القياسية، خاصة في نهايات الأسبوع، حيث يأتي الأطفال من كل مناطق المدينة للعب واللهو بفضاءات جديدة للعب تم إعدادها حديثا.

وقد وضعت أشغال إعادة الاعتبار، التي انطلقت سنة 2018 لتنتهي في 2021، كمبدأ مديري لها، توحيد مجموع الفضاء، الذي يمثل 30 هكتارا، عبر جمع جزئَيْ المنتزه اللذان يفصلهما شارع مولاي يوسف. ففي الجهة العليا للمنتزه، تم إعداد ورشة على شارع الراشيدي. وأعلى هذه الورشة، ينفتح ميدان واسع على شارع الحسن الثاني.

يُدخل المنتزه السعادة على الشباب (وحتى على من هم أقل شبابا) المولعين بألعاب التزحلق التي يمارسونها بأشكالها وأنواعها المتعددة بكل شغف.

تمت إعادة تشكيل الممرات، وترميم النافورات

تغري الممرات الثانوية الظليلة والطرية بالنزهة

وإذا كان هذا الميدان مفتوحا أمام الجميع، فإن فضاء حدائق المنتزه تم في المقابل إحاطته بجدران وتزويده ببوابات أربعة بمثابة مداخل ومخارج.

يتم ضمان أمن المنشأة، بواسطة حراسة متواصلة (ليل نهار) من لدن مهنيين في مجال الحراسة. ويتوفر المنتزه، المنفتح على المدينة طوال اليوم، على :

- مسار رياضي ؛
- فضاءات متعددة للعب ؛
- مساحات خضراء ؛
- مقاهي وأكشاك ؛
- مراكز صحية عمومية وأثاث حضري (منضدات، سلات القمامة، تشوير).

وتجسد أهم المساحات التهييئات الجديدة وتميز عرض المنتزه الذي أعيد الاعتبار له :

- 6,8 هكتار من المسالك من الأرضية المثبتة ؛
- 5,5 هكتار من الفضاءات المغروسة ؛
- 10 700 متر^2 مخصصة لفضاءات اللعب ؛
- 92 000 متر^2 مساحات مهيئة ؛
- 950 متر^2 للحوض المركزي والنافوراتر ؛
- 745 متر^2 مرصودة للمقاهي والأكشاك التي أصبحت مقامة في أماكن مختلفة من المنتزه ؛
- 400 متر من السواقي المسيرة بشكل متواصل بفضل استعمال تكنولوجيات تقود نظام ذي دارة مغلقة يمَكن من ترشيد استعمال الموارد الطبيعية، والماء بشكل خاص.

نفس هذه الدارة المغلقة هي أيضا مقامة على مستوى الحوض المركزي والنافورات الموجودة من كلا جانبي المحور المركزي للمنتزه، حيث تمت المحافظة على أشجار النخيل المئوية.

يضمن الجدار ووسائل المراقبة الارتياد الآمن والحسَن للمنتزه

فضاءات رفيعة بأغراس تتدرج في العلو

إعادة الاعتبار والإعدادات الجديدة منحت حياة جديدة للمنتزه

لقد تمت إعادة الاعتبار وتأهيل منتزه الجامعة العربية في احترام تام لأساسيات العمل في ميدان الإعدادات الطبيعية وحسب المقاييس الأحدث من حيث حماية البيئة، والتجهيزات والترفيه. وقد شارك أربع متدخلين في هذه العملية الكبيرة :

- جماعة الدار البيضاء، صاحبة المشروع ؛
- شركة التنمية المحلية الدار البيضاء للتهيئة صاحبة المشروع المفوض ؛
- وكالة «2D DAMA»، التي كانت تقدم مساعدتها لصاحب المشروع ؛
- وشركة «ID Paysages»، مصممة ومنفذة التهييئات المنجزة.

وقد قبلت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة، التي دعيت لذلك، المساهمة في المشروع عن طريق برنامجها لإعادة الاعتبار للمنتزهات والحدائق التاريخية.

وحتى لو كانت المقاربة الأولى تعتزم تمديد منتزه الجامعة العربية إلى حدود شارع ابراهيم الروداني، بضم ملاعب كرة المضرب الموجودة، وهو ما لم يتم تنفيذه في النهاية، فإن إعادة الاعتبار للمنتزه التاريخي للدار البيضاء قد تمت عموما بنجاح. ويبقى إذا ما تتجلى صعوبته في غالب الحالات، ألا وهو تأمين المتابعة والصيانة حتى لا يبدو هذا الاستثمار الضخم بلا جدوى بعد بضع سنوات.

الدار البيضاء تُعبئ المياه المستعملة لسقي المساحات الخضراء

شكلت إعادة استعمال المياه المستعملة موضوع طلب عروض أطلقته شركة التنمية المحلية كازا بيضا (Casa Baida).

هذا البرنامج الذي ينبغي أن يكون مكتملا سنة 2024، يهم استثمارا إجماليا يصل إلى 189 مليون درهم، يتم تمويله بأكثر من النصف من طرف الدولة (100 مليون درهم) وبالنسبة للباقي، بواسطة الشركاء (مجلس جهة الدار البيضاء - سطات، مجلس جماعة الدار البيضاء، وكالة الحوض المائي أبي رقراق - الشاوية ووكالة التنمية لأنفا). من بين أهم المواقع المعنية، نجد :

- نزهة مجسد الحسن الثاني الكبير ؛
- ملعبي الكولف الملكي لأنفا والمحمدية ؛
- منتزه الجامعة العربية (30 هكتار، منها 12 مسقية) ؛
- جنبات الطريق السريع الحضرية (118 هكتار، منها 50 مسقية) ؛
- منتزهات ألسكو (Alesco) بن مسيك، وليرميطاج ؛
- منتزه أنفا، وهو آخر المنتزهات المستحدثة والذي سيمتد على 110 هكتار (18 هكتار منها مفتوحة حاليا في وجه الجمهور).

وكما يلاحظ، فإن جماعات الدار البيضاء والمحمدية معنية. والمساحات مثيرة للدهشة. ولكي نأخذ فكرة عن أحجام المياه اللازمة، هذه بعض الحاجيات على سبيل المثال :

- المساحات الخضراء على طول الطريق السيار تتطلب 800 متر^3 من الماء يوميا (أي أزيد من 1 400 متر^3 يوميا في فترة الذروة) ؛
- الحاجيات من الماء بالنسبة لأنفا بارك تقدر بـ 1 600 متر^3 يوميا في الختام.

وفي المجموع، سيتم سقي مئات الهكتارات بعد وقت قصير بواسطة المياه المستعملة حينما تستكمل كل مكونات المشروع : أحواض التخزين، محطات الرفع، أنابيب الإجلاء...

تقترح الممرات الثانوية، العمودية للمحور المركزي، ممرات جانبية على الزوار

نكتفي الآن بالتذكير بأن الأمر يتعلق بالتجديد وإعادة الاعتبار الثانيين لحديقة الجامعة العربية منذ إحداثها في أبريل 1921.

وقد سميت في البداية بمنتزه هوبير ليوتي (Hubert Lyautey) تكريما للمقيم العام الفرنسي في تلك الفترة.

وقد عمل مصمم المنشأة، المهندس المعماري الفرنسي ألبير لابراد (Albert Laprade) منذ 1916 تحت إشراف المهندس المعماري والمهندس المعماري هنري بروست (Henri Prost)، الذي كان من المنادين والممارسين المتحمسين «للتمازج الثقافي»، وهي فلسفة مهنية كانت تدفعه إلى إدماج العديد من المكونات التراثية المغربية في إنجازاته.

وفي سنة 2015، وبطلب من المعهد الفرنسي للدار البيضاء، قام الرسام والنحات الفرنسي دانيال بيرن (Daniel Buren) بخلط أقواس ذات ألوان زاهية لأقواس من السجن القديم لأنفا، الذي تم هدمه سنة 1916، وتم نقل دعاماته وأقواسه إلى المنتزه.

وهذا التركيب الذي كان مقررا أن لا يتجاوز فترة شهر، تم الاحتفاظ به في نهاية الأمر وإعادة بنائه بصورة دائمة في إطار التجديد الأخير.

انطلاقا من المنتزه، تظهر كاتدرائية القلب المقدس المجاورة والتي شرع في تشييدها سنة 1930

المبادرة والتسيير الخاص في خدمة حديقة تاريخية خلابة وروحانية بمراكش

محمد مقدم
مهندس معماري

حديقة ماجوريل من ضمن المنتزهات الحضرية بالمغرب ذات التاريخ الاستثنائي. وقد حام التشكيك في البداية حول الفكرة لأنها مرتبطة بمبادرات فردية، إلا أن هذه المغامرة أفضت إلى وضعية غاية في التميز وساعدت في تجسيدها وجعْلها ممكنة مرونة القوانين السارية : التسيير والتثمين عبر مؤسسة خاضعة للقانون الخاص. ويستفيد سكان مراكش وكذا زوار المدينة الحمراء بكل غبطة وسعادة من ثمار هذه الوضعية الفريدة.

حينما نتحدث عن المساحات الخضراء بالمغرب، فهناك واحدة لا يمكن إغفالها أو نسيانها، بالنظر في آن واحد لتاريخها المتفرد والرمزي، وكذا اعتبارا للأحداث التي رافقتها والتي هي أيضا فريدة. يتعلق الأمر بحديقة ماجوريل بمراكش.

لقد بدأت القصة سنة 1929، أي منذ قرن تقريبا، وهي ترتبط بشدة بإسم جاك ماجوريل (Jacques Majorelle)، إبن نجار متخصص من مدينة نانسي الفرنسية هو لويس ماجوريل، أحد الصناعيين الماهرين والمشهورين في ذلك الوقت، والذي طور بشكل كبير ما يسمى أسلوب «الفنون الجديدة» الشهير. وقد قدِم الفنان إلى المغرب بإيعاز من أبيه الذي كان يرى أن طفله لا يملأ وقت فراغه كما ينبغي وأوصى عنه لدى الجنرال (وقتها) هوبر ليوطي (Hubert Lyautey)، الذي كان يهوى ضم مبدعين شباب ذوي مواهب كبيرة إلى جواره. وقد استقر الفنان بمراكش سنة 1917. وفي سنة 1929، لجأ إلى المهندسَين المعماريين روبرت بواسون (Robert Poisson) وبول سينوار (Paul Sinoir) ليصمما له ويبنيا «فيلا ورشة» فوق أرض اشتراها قبل سبع سنوات بمنطقة النخيل، شمال-غرب المدينة العتيقة لمراكش. وحرر بشأنها دفترا للتحملات.

وقد أوضح صاحب الملك بكثير من التفاصيل ما يرغبه من هذا المشروع. فهو يريد من هذه «الڤيلا الورشة» - حيث سيقطن في الطابق الأول والطابق السفلي سيخصص للورشة - أن تذَكر بأسلوب مهندس معماري ذائع الصيت، هو شارل-إدوار جانري-كري (Charles-Edouard Jeanneret-Gris)، والشهير بلقب لو كوربيزيي (Le Corbusier)، ويمزج بتناغم العناصر التقليدية المستلهمة من فنون البناء بالمغرب، مع هندسة معمارية موريسكية تتجلى بالخصوص في النوافذ وفي معالجة الأرضيات، وبالحداثة في أسلوب «آر ديكو» الذي كان قد بدأ وقتها في فرض نفسه بأوروبا.

«الفيلا الورشة» التي أنجزت بطلب من جاك ماجوريل

بعض التفاصيل من المكونات الموريسكية التقليدية والعصرية الغربية التي تم تنسيقها هنا

من المشروع الفردي إلى الإنجاز العالمي

إثباتا لتميزه، غرس الرسام العديد من الأصناف النباتية في الحديقة الفسيحة لڤيلاته، والتي استقدمها بتكاليف بالغة من كل مناطق العالم، خاصة أشجار الليمون وأشجار الموز واليوكا والياسمين، والجهنمي، والفوشيا، والصبار بمختلف أنواعه... كما جهز بساتين، ونافورات مائية، وممرات... مستلهمة من فن الحدائق العربي وكذا من الحدائق الاستوائية الغناء. ودون أن يستشعر ربما ذلك، فقد بدأ الفنان في إعطاء الانطلاقة، هنا، لما أصبح يعتبر إحدى الحدائق الأكثر رمزية بالمغرب.

وقد اغتنى المفهوم، سنوات قليلة بعد ذلك في 1937، واتضحت أهدافه وتبدل حجمه : فقد قام الفنان بصباغة ڤيلاته بألوان زاهية، يهيمن عليها نوع من الأزرق لما وراء البحار والذي سيظل مرتبطا بإسمه. هكذا ولد «أزرق ماجوريل». والأمر يتعلق بأزرق مائل قليلا إلى البنفسجي بإضافة قطرات من الأحمر. هذه الدرجة اللطيفة من اللون يقصد منها الإحساس بالراحة والاسترخاء، لأن قوة هذا اللون العابر للبحر يجد نفسه مخفَفا ويصبح المناخ الملون المحدث مريحا بشكل ملفت. فهذا الأزرق الرمزي والفاتن لا يترك أحدا غير آبه. وكدليل على ذلك، فإن جاك ماجوريل، حينما قرر فتح حديقته للعموم سنة 1947 - أي سنتين فقط بعد نهاية الحرب العالمية الثانية - بدأ الزوار يتقاطرون من كل صوب لاكتشاف هذه المجموعة من البناء والنبات، التي تختلف عن المألوف وتوفر كثيرا من الغرابة، والمزروعة في وسط نخيل مراكش. وستتواصل شهرة المكان دون تناقص رغم وفاة مؤسسه.

مستقبل جديد بعد 18 سنة من وفاة المؤسس

يوم 14 أكتوبر 1962، توفي جاك ماجوريل بباريس، حيث تم نقله بعد كسر خطير على مستوى عظم الفخذ. وقد دفن في نانسي بجوار والده. وبعد وفاته، هُجرت الحديقة والبيت. وبعد ما لا يقل عن 18 سنة بعد ذلك أي في سنة 1980، قام إيڤ سان-لوران (Yves Saint-Laurent) وبيار برجي (Pierre Bergé)، اللذان اكتشفا المغرب سنة 1966، باقتناء المجموعة لإنقاذها من مخالب مشروع فندقي كان يعتزم تدميرها.

بعض زوايا الرؤية لداخل المنتزه

مصمم الأزياء الكبير، الذي هو في أوج شهرته، من مواليد وهران حيث ترعرع، كان مولعا بهذا الأسلوب الموريسكي المتوافق مع الحداثة الغربية لبداية القرن العشرين.

وقد قرر أصحاب المِلْك الجدد الإقامة في ڤيلا جاك ماجوريل، التي أصبحت تحمل إسم ڤيلا الواحة.

وقد قاما بأعمال هامة لترميم المنتزه، لـ «*نجعل من حديقة ماجوريل أجمل حديقة، الحديقة التي تخيلها جاك ماجوريل وتصورها*». وقد تحولت ورشة الفنان إلى متحف بربري مفتوح أمام الجمهور، مع معرض لإبداعات الموضة الرفيعة من مجموعة إيڤ سان لوران وبيار برجي. وسيصرح إيڤ سان لوران قائلا : «*منذ سنوات عديدة، أجد في حديقة ماجوريل مصدرا لا ينضب من الإلهام وكنت دائما أحلم بهذه الألوان الفريدة*».

وقد أصبحت حديقة ماجوريل في سنة 2002 في ملكية مؤسسة بيير برجي - إيڤ سان لوران التي أحدثت في نفس السنة. تمتد الحديقة اليوم على مساحة 9 000 متر مربع. ويسعى رئيس المؤسسة، ماديسون كوكس (Madisson Cox)، إلى تحقيق طموحات جديدة بالنسبة لحديقة ماجوريل. فقد صرح لنا أنه يرغب في إنشاء قسم للبحث النباتي حتى يجعل من هذا المكان مؤسسة متجذرة في محيطها وفي عصرها : «*إذا كان التراث الثقافي للمغرب محميا ومثمنا في متحفَي المؤسسة، فإن هدف قسم البحث النباتي هو إبراز التراث الطبيعي للمملكة وتقييمه. وسيتم تجسيد أعمالنا بالطبع على مستوى المجموعات النباتية للحديقة وكذا عبر شراكات، وخاصة تلك التي تربطنا بجامعة القاضي عياض لمراكش*».

في خدمة البحث النباتي والتنمية المستدامة

تضم مجموعة ماجوريل حاليا 350 صنفا نباتيا، وبالأساس مجموعات نبتة الخيزران، الصبار والنخيل. واليوم، توجد القليل من الأصناف المحلية والمستوطنة بالمغرب ضمن هذه المجموعات.

سيتم إغناء هاتين المجموعتين بهذه الأصناف بصورة ملموسة حتى يتمكن الزوار من رؤيتها ومن أجل ضمان محافظة أفضل لها، لأن الكثير منها أصبح مهددا في الوسط الطبيعي.
ومنذ سنتين، يتم تدبير المجموعات النباتية وفق المبادئ والممارسات الإيكولوجية. ولا تستعمل أي مادة ناتجة عن تركيب كميائي. وقد تم تبني تقييم للمخلفات الخضراء بإنشاء محطة للتسميد وإنتاج القش.
ولن يتم قطع الأشجار والزهور بشكل منهجي، مما يسمح من استمرار التنوع الحيواني (سيما بالنسبة للطيور، مع أصناف عادية وأخرى أقل تواجدا) بصورة أكثر أهمية في الموقع.
كما تبذل جهود للاقتصاد في الماء بتعميم استعمال القش، كل ما أمكن ذلك، واختيار النبتات الأكثر ملاءمة لمناخ مراكش، وخاصة حالة الجفاف. ولهذه الغاية، تمت برمجة نظام جديد للسقي لاستكمال وضع طريقة وأنساق جديدة تندرج ضمن التطور نحو الحداثة، أي في احترام لمبادئ التنمية المستدامة (إعادة استعمال المياه المستعملة، سماد إيكولوجي، غياب مبيدات الحشرات، الخ.).
بطبيعة الحال، الهدف من كل التهيئة هو أيضا تحسين آثار حديقة ماجوريل على محيطها المحلي، وخاصة من حيث التقاط غاز الكربون.

1 500 000 زائر
سنة 2019

فيما يخص أثر المنتوج الذي تمثله حديقة ماجوريل على تدفقات السياحة المحلية، فهو مهم، بل وقد يطرح بعض المشاكل.
وبالفعل، في سنة 2019، استقبلت المؤسسة أكثر من مليون ونصف زائر. «*هذا الارتياد المفرط يؤثر على المجموعات النباتية وعلى بنيات الحديقة الهشة ولا يتناسب مع السياحة الشعبية.*
إبه تفكير، ساهمت أزمة كوفيد - 19 في إنضاجه. نرجو أن نضع وسائل قياس تسمح من استقبال زوارنا بشكل أفضل ومن المحافظة على الحديقة على أحسن وجه»، كما يعلن مارك جانسون (Marc Jeanson) عالم النبات في مؤسسة ماجوريل.

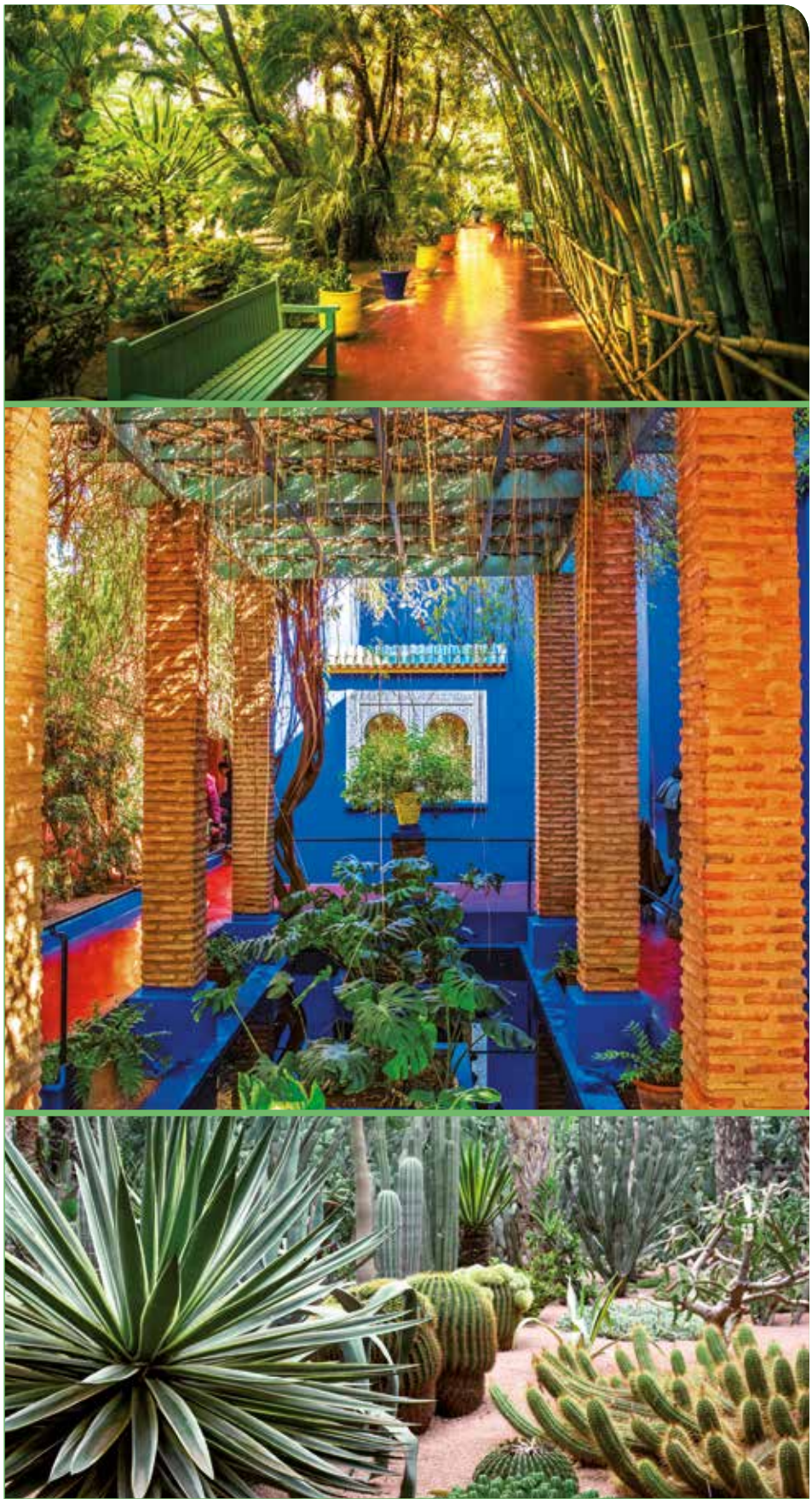
زاوية أشجار الخيزران (في الأعلى) وبعض الإعدادات

الحديقة السرية في مراكش، إرث سعدي أعيد له الاعتبار

شيد في هذا المكان، منذ أواسط القرن السادس عشر، قصر السعديين الذي دمر في نهاية القرن السابع عشر بعد انحطاط هذه الدولة. وحسب نفس التخطيط، تم بناء قصر جديد في القرن التاسع عشر من لدن القايد عبد الله أوبيهي. حينها كانت مراكش في أوج نموها، بإقامات رفيعة المستوى وحدائق غناء أنشئت في الجوانب المختلفة للمدينة.

وعند موت هذا القائد، اقتنى القاضي مولاي مصطفى القصر والملك المحاذي له، ثم استبدله بإقامة فاس لأمين حرفة الساعاتيين بمراكش، محمد الأوكريسي، الذي عاش فيه حتى وفاته سنة 1934.

وبعد ذلك، ظل المِلك مهملا لأكثر من 70 سنة، حتى أضحى شبه خراب. ولم تظهر فكرة رد الاعتبار لهذا المكان وفتحه في وجه الجمهور، إلا سنة 2008، وقد تم ذلك بالفعل بعد مرور ثمان سنوات من هذا التاريخ.

«الحديقة السرية» هي في الواقع مركب يتقاسم فيه الاهتمام بين الهندسة المعمارية والمساحات الخضراء.

فالجانب المبني يتشكل من جناحين مستطيلي الشكل مخصصين للرّياضات، والمحاطين كل واحد على حدة بأسوار عالية. وهو بناء مقام حول حديقة واسعة ينفتح عليها. وينقسم كل جناح إلى أربع مساحات مغروسة بواسطة ممرين مرتفعين.

وعند التقائهما، نجد حوضا من المرمر يضفي جمالية نحتية وتنشيطا موسيقيا بفضل الهمسات العذبة للمياه المنتعشة. وتتزود المنشئات المائية بأنواعها بالخصوص من نبع داخلي للحديقة. ومن جانب آخر، ومنذ الحقبة المرابطية، كانت هناك خطارة تزود المكان بالماء، حيث أن التوفر على الماء المنزلي كان آنذاك امتياز نادر، وتتمتع به هذه الحديقة.

تتمحور «الحديقة السرية» اليوم حول فضائين مميزين تماما : الحديقة الغريبة والحديقة الإسلامية. ويضم الفضاء الأول نباتات مجلوبة من مناطق مختلفة من العالم، استعادة للتقليد الطويل للحدائق التجريبية لمراكش، المدينة - الحديقة بامتياز منذ العصر الوسيط.

أما الثاني، فقد أخذ في الغالب مجددا، الشكل الذي كان عليه في القرن التاسع عشر. وقد سبق أن لوحظ التخطيط الرباعي في الحدائق الفارسية ستة قرون قبل الميلاد. وقد ظهر في المغرب في القرن الثاني عشر، دون شك من أجل تسهيل سقي الحدائق ولإبراز خطوط هندسية صارمة. إنها رؤية فردوسية مقابل الطبيعة المتوحشة.

ومن بين النقط الملفتة للنظر، البرج، رمز الغنى والقوة لأصحاب المكان. ومن قمة علوها كصومعة، فإنها تعطي للزائرين نظرة جميلة حول المدينة العتيقة وعلى جبال الأطلس بصفة عامة.

مؤطر لهيئة التحرير

سيدي يحيى، «مول النخلات» اعتبارا لنخيله، منتزه غاية في التميز

أيمن زيزي
مدير وكالة موتيفنكو،
مهتم بمجال الثروة الطبيعية

يمتلك المكان بالنسبة للبعض بعدا سحريا، وبالنسبة لآخرين بعدا روحيا، وبالنسبة للجميع عمقا تاريخيا حقيقيا، على الأقل على مستوى الجهة. فعناصر جاذبيته متعددة، ينتُج عنها تدفق هام ومنتظم للزائرين القادمين في الغالب من وجدة، التي تُعتبر واحة سيدي يحيى تابعة لها. هنا، يمتزج ما هو عادي وما يعتبر خارقا للعادة، ووفرة الماء تعد ضمن ما هو إعجازي.

أغنية

شعبية متداولة تلخص أهم عناصر التراث السوسيوثقافي الذي قاوم عاديات الزمان طوال قرون عدة والذي جعل من سيدي يحيى وجهة مفضلة للفارين من الاضطهاد الديني، أو المتابعات السياسية أو تصفية الحسابات القبلية، وتتحدث أبيات الأغنية عن سيدي يحيى كملجأ للمعذبين والتائهين، مضيفة بأن القادم إليه هو في أرض آمنة.

مكان طبيعي يعبق بالروحانية

أصبح هذا المكان مع مرور الوقت مقصدا لمختلف الطوائف الدينية، وتحول الولي الصالح إلى أيقونة روحانية بالنسبة للمتدينين.

إنه الولي بدون سقف بالنسبة للبعض، والولي «المخفي» بالنسبة لآخرين، أو ببساطة «مول الوعدة»، ولي النبع والنهر ذو المياه الوافرة. فسيدي يحيى بنيونس يجمع بالتالي العديد من التسميات والأوصاف. وهذا الأمر يجعل من هذا الشخص الورع الولي الموقر لمدينة وجدة.

فـ «بَرَكَته» أسطورية، إلى حد أن فريق مولودية وجدة لكرة القدم، عندما فاز ببطولة المغرب لسنة 1976، كان يقوم بزيارة مقامه قبل كل مقابلة.

هذا الاعتقاد يترافق مع تقدير يتقاسمه معتنقو الديانات التوحيدية الثلاثة.

فبالنسبة لليهود، الأمر يتعلق بحاخام من قشتالة استقر بوجدة في القرن الرابع عشر، والمسيحيون يرون فيه القديس يوحنا، ابن يونس الذي كان معاصرا للسيد المسيح. أما المسلمون، فالعديد منهم يعتبرون أن الأمر يتعلق بمتصوف ورع وهب حياته لله.

تُكِن المعتقدات الشعبية لهذا الولي تقديرا واحتراما خاصين يستندان على ثمانين سنة من الصيام، والعبادة والتوسل للخالق.

ومع مرور الوقت، يبدو أن المكان أصبح تجسيدا نموذجيا ومرجعيا للتعايش والتفاهم بين أبناء سيدنا إبراهيم الخليل، ومكان متميز للسلام والتآخي بين الطوائف.

وهناك عنصر آخر يضفي لهذا الولي الصالح وضعا خاصا : فأتباعه لم يقيموا له صرحا أو نصبا، مفضلين إخفاء قبره لوقايته من أتباعه المغالين ومن أعدائه. ولم يتم بناء سقف بالمكان المفترض لقبره من طرف السلطات الدينية إلا في نهاية ستينات القرن الماضي. وبالتالي، فإن مكان الدفن لا يحظى بالإجماع. فهل هو مدفون تحت الشجرات الثلاثة الكبرى التي تغطي الجزء الداخلي للساحة، أو قرب الشجرة حيث تُعلق النسوة أجزاء من ثيابهن لكي تتحقق أمانيهن، أو أيضا بالقرب من النبع القديم لسيدي يحيى ؟ ورواية أخرى من بين العديد من الروايات، تزعم بأن الولي حفر قبره بنفسه حيث غطى التراب جثته بقدرة ربانية لا غير.

هذه الروايات تجَمل المكان بحكايات غرائبية ومعتقدات لا يقبلها العقل. وفي خضم هذا المتخيل المشترك، يتوفر الأولياء على قدرات خارقة. فبمقدورهم شفاء المرضى، وتخفيف الآلام، وجمع القلوب المتفرقة وتقريب الأرواح التائهة. يعتبر سيدي يحيى من ضمن هؤلاء. وفي الجوار، في قلب زاوية مخضرة، توجد شجرة مئوية لا تقل أسطورتها عن أسطورة الولي الصالح. فهي أيضا تشتهر بتخفيف أوجاع الظهر. ويقول رجل ستيني : «*كلما ألم بي وجع بالظهر آتي إلى هنا واتكئ على هذه الشجرة لأخفف من آلامي*». كما تقول امرأة باقتناع واضح بأن زيارة سيدي يحيى يشفي الأمراض المستعصية ويجعل النساء العاقرات خصبة.

والولي الصالح يجلب الحظ للذين يستطيعون أن يضعوا سبع حجرات الواحدة فوق الأخرى، دون أن تسقط : «*كلما ظل عمود الأحجار ثابتا، فإن السعد و«الميمون» يكونان إلى جانبك*» إنها قناعة إمرأة شابة توفقت في إنجاز عملية الحجرات السبع.

وهي تأمل العثور على عمل، مضيفة : «*أنا أعلم أن ما أعمله غير منطقي، ولكنني طرقت كل الأبواب بدون نتيجة. فلماذا لا أحاول استغلال هذه الفرصة ؟*». إنها أسطورة الواحة.

حياة جديدة للواحة

سيدي يحيى هو أيضا مكان تاريخي للاصطياف بفضل وفرة مياهه، وأشجاره الباسقة وفضاءاته المخضرة.

وقد كان الوجديون يقضون به عطلهم الصيفية خلال أيام «الصمايم» (أيام الحر). فهم يرتوون وينتعشون من مياهه العذبة، ويسبحون في نهره أو في «شرشرته» ومربعه. كما أنهم ينظفون به أغطيتهم وأقمشتهم الصوفية. وفي فترة الحماية وحتى ثمانينات القرن الماضي، كان سكان جهة الشرق يقضون عطلهم بسيدي يحيى كما بشاطئ البحر الأبيض المتوسط بالسعيدية. ولكن هذا الوقت أصبح في حكم الماضي مع الأسف، وبعضهم يتذكرونه بحنين خلال زياراتهم أيام الجمعة.

وقد فقد مكان العبادة والاصطياف هذا مؤهلاته الطبيعية جراء سنوات من وطأة الجفاف وندرة المياه. وقد أدى ذلك إلى ضرورة مراجعة مفهوم الاستقطاب وتهيئة المكان. وهكذا بدأت الواحة تتحول إلى فضاء ترفيهي بفضل استثمار بلغ 72 مليون درهم.

إن هذا المشروع، الإيكولوجي والمعماري بامتياز، والمتجه نحو إعادة الاعتبار وتنمية هذه المنطقة الواحاتية التي تبلغ مساحتها 4,2 هكتار، جعل من هذا المكان فضاء للترفيه وللأنشطة الاقتصادية. يندرج هذا التأهيل في إطار الجهود المبذولة للمحافظة على البيئة، وضمان تنمية مستدامة وتعزيز جاذبية الموقع. وقد شمل هذا التأهيل بناء قناة انعطاف للنهر وتهيئة مساحات خضراء، للترفيه والنزهة. وقد تم ذلك سنة 2010 بتوجهات ملكية سامية.

وقد وهبت هذه التدخلات حياة جديدة للواحة بإنجاز دائرة مائية، و26 محلا تجاريا، ومقهى-مطعم، وكشكين، وقاعة للصلاة للنساء، مع ترميم واجهات ضريح سيدي يحيى.

كما أضيفت إلى ذلك إعادة استنبات النخل، وأشجار الحور والخروب والزيتون، إضافة إلى تعبيد الطرق وإعداد موقف للسيارات. وتهم هذه التهيئة 3,1 هكتار من المساحات الخضراء، وهي تدمج بشكل محكم الفضاء الحضري لوجدة.

كما أن الأشغال همت أيضا إنجاز مسار تلقائي لتدفق مياهِ سقي موضعي للأشجار «الدخيرة» والعملاقة، والنَّخيل والغار.

وبما أن المكان أسطوري مع الكثير من الإيحاءات والدلالات الإيجابية، يتم سنويا تنظيم موسم للتبوريدة بالقرب من الموقع، احتفالا ببسالة وشهامة القبائل المجاورة.

حديقة الجبل الملكي بمونريال
مفهوم الفضاء المحمي منذ نهاية القرن التاسع عشر

أنشئ هذا الفضاء الشاسع الذي تبلغ مساحته 214 هكتارا سنة 1876 من أجل وقاية الجبل، حسب الفكرة الرائجة منذ 1853. وفي غضون وقامت المدينة خلال هذه الفترة تدريجيا باقتناء مجموع الأراضي المعنية. عُهدت تهيئة هذا المنتزه لمصمم الحديقة المركزية لنيويورك، فريديريك لاو أولمستيد، الذي اختار الاحتفاظ بالتضاريس الطبيعية للموقع، عكس البعض الذين كانوا يميلون أكثر لتهيئة أكثر حضرية.

وقد تم في النهاية تبني اختياره الذي اقترح تقسيما قطاعيا على شكل حديقتين اثنين، تطل إحداهما على وسط المدينة. وفي سنة 2005، تم تخصيص مساحة تقارب 3,5 هكتار للمنطقة المزهرة للمنتزه.

تعمل الحديقة كفضاء محمي حيث تتم المحافظة على نبتة رمزية بالنسبة لكيبيك، المهددة بالاختفاء، وهي نبتة البودوفيل. أما المكون الآخر للحديقة فيتشكل من «بحيرة السمور»، الشاسع والمهدئ.

يوجد بالمنتزه طريق طويل، هيئ ضمن ثلاث قطاعات تتميز في نفس الوقت بالمواقع والمعالم المرتبطة بها وبالفضاءات الطبيعية التي يتم عبورها. تقطع هذه الطريق مجموع المنتزه. وهناك طرق أخرى تربط النقط القوية للتهيئة بالمداخل الرئيسة. وقد حتمت أهمية الفضاء، إحداث جمعية ذات أهداف غير نفعية، تحمل إسم «أصدقاء الجبل» للإرتقاء بالأماكن ؛ تقترح على سبيل المثال جولات منظمة.

شبكة المسالك والممرات تتفرع في كافة أنحاء المنتزه مبرزة كل أشكال المساحات، من أجل النزهة القصيرة أو الجولات الطويلة

مؤطر لهيئة التحرير

تحويل الغابات الحضرية والغابات المجاورة للمدن لفضاءات ترفيهية بمناظر طبيعية

محمد الخلوفي
رئيس مصلحة،
المديرية الجهوية للمياه والغابات بجهة الشرق

إن التفكير المتعلق بالاستدامة، وهو الاهتمام الأولي للمملكة والذي يطال في حقيقة الأمر كل ميادين التنمية، يشمل أيضا مجالات تدَخّل قطاع المياه والغابات بجهة الشرق. فعلاقة المدن بالغابات القريبة من المدينة أو القريبة منها، أصبحت من الآن مطروحة كإشكالية تثير الكثير من الاهتمام، ويتوجب بالتالي السيطرة عليها.
وحيث أن المجهود ضخم وأن العمل إلزاما تدريجي، فإن التدخلات تُصمم وتُبرمج على مدى عشر سنوات.
وبهذا، تعتبر 2030، أفق الأهداف المسطرة في هذا الميدان.

أصبح الوعي بالدور الجوهري للغابات الحضرية وشبه الحضرية على المستويات البيئية والاجتماعية والاقتصادية والطبيعية، أمرا لا نقاش فيه. لذلك، يوجد مخطط غابوي قيد الإنضاج من طرف المديرية الجهوية للمياه والغابات لجهة الشرق، بغية وضع استراتيجية تنموية وتسييرية لها على مستوى هذه الجهة.

إعادة تشجير المساحات الغابوية القديمة وتهيئة الغابات الحضرية

يعي قطاع المياه والغابات أيضا الاكراهات التي تتعرض لها الغابات، وخاصة أطماع المضاربين العقاريين، والارتياد الغير منظم في غالب الأحيان وكذا التلوث، حتى نقتصر فقط على أهم الإكراهات.

ومن أجل ذلك، يتم إعداد إستراتيجية تعتمد على المحافظة والتقييم المستدام للدور الثمين التي تقدمه هذه المساحات لراحة ورفاه ساكنة المدن وللرقي بالمشاهد الطبيعية لمدننا.
وفي هذا الصدد، تم اختيار مجموعة من المشاريع لدعم استقبال الجمهور وراحته، وتزيين المحاور الطرقية الرئيسية وتجهيز فضاءات الاستراحة. وينص المخطط الغابوي الجهوي 2020-2030 تفعيل مشاريع تهيئة الغابات الحضرية وشبه الحضرية.

مدخل للغابة شبه الحضرية لبوعرفة

مضاعفة أعداد المشاتل تمكن من تأمين تجديد الغطاء النباتي

ويتعلق الأمر بالخصوص بـ :

- إعادة تشجير المساحات الغابوية القديمة وتهيئة الغابات الحضرية وشبه الحضرية بعمالة وجدة - أنكاد ؛
- تهيئة الغابات الحضرية وشبه الحضرية ووضع ستارات وإقامة فضاءات للاستراحة على المحاور الطرقية بإقليم جرادة ؛
- إعداد غابات حضرية وشبه حضرية بإقليم دريوش ؛
- تعزيز الإعدادات في مجال التسلية بالغابات الحضرية وشبه الحضرية لإقليم فكّيك.

إن الرؤية التي تسند المخطط الغابوي الجهوي 2020-2030 هي عبارة عن سياسة مسطرة بتناغم وانسجام مع عالم يعيش تحولا على الأصعدة الديموغرافية، المناخية، الاقتصادية، والبيئية...

خلق الظروف الفضلى للزوار والمحافظة على الغطاء النباتي

بالنسبة لقطاع المياه والغابات، فإن الغابات، سواء كانت حضرية أو شبه حضرية، تلعب أدوار عديدة، اجتماعية، بيئية، اقتصادية وطبيعية. إنها فضاءات تمدد وتكمل النسيج الحضري. والغابات مفتوحة للمستعملين وتمثل مكانا يتشكل فيه الوعي البيئي.

وهي تساءل وتهم المواطن على مستويين : باستعمال الفضاء وبمسؤولية المحافظة عليه. وهذا الالتزام متقاسم مع الساكنة المجاورة لهذه الغابات وكل الأشخاص الذين يلجئون لهذا النوع من الفضاءات. والغاية هي الحماية الدائمة لهذه المجالات الترابية من الارتياد الجائر ومن التمدد الحضري.

وهكذا، فالأمر يتعلق في نفس الوقت بتلبية الحاجيات الاجتماعية، البيئية والاقتصادية، إلى جانب بناء صورة جيدة حول حراس الغابة والقيمين عليها لدى الجمهور العريض وإرساء مسؤولية متقاسمة إزاء الموارد الطبيعية.

وعلى العموم، فإن المطلوب هو خلق نموذج للتدبير الشامل، والمستدام والمثمن، يقيم تصالحا بين المواطنين والغابات الحضرية وشبه الحضرية. ويستند هذا الهدف على مفهوم واحد ألا وهو تنمية الغابات الحضرية وشبه الحضرية. خدمة للبيئة والمجتمع.

داخل المجالات المتمدنة، يفرض استقبال الجمهور بالغابة نفسه بطبيعة الحال. ويعود للقائمين على الغابة الدور الرئيسي في الاستجابة لانتظارات هذا الجمهور علاوة على تأمين استدامة الفضاءات الطبيعية. وأيضا من خلال هذه الفضاءات الطبيعية والترفيهية سوف تُخط وتُرسم فكرة الغابة التي سوف يحملها المغاربة والسياح.

والغابة شبه الحضرية تمثل هنا واجهة لمهارة المشرفين على الغابة. وتتمثل مسؤوليتنا في اعتماد تدبير مثالي يخدم في آن معا البيئة والساكنة.

مثال لموقع لعملية إعادة تشجير جارية في إطار المخطط الغابوي الجهوي 2020-2030 : النطاق الغابوي القريب من راس الما (إقليم الناظور)

نحو تدبير مستدام ومتعدد الوظائف لهذه الفضاءات الطبيعية

إن القواعد الجديدة للحكامة التي ننخرط فيها تسمح للمديرية الجهوية بالاتجاه نحو تدبير مستدام ومتعدد الوظائف للمساحات الغابوية الحضرية وشبه الحضرية.

ولبلوغ هذه الغاية، أعد القطاع الوصي أدوات تقنية من أجل تثمين هذه الغابات وتأمين استقبال جيد للجمهور. إنه اختيار مدروس من شأنه أن يوفر الشروط المثلى للمتنزهين، أوالمتجولين أو ممارسي الجري والرياضات الأخرى التي تحتاج إلى فضاءات طبيعية.

إن التهييئات التي تم إنجازها لاستقبال الجمهور سيكون لها إذا، أهداف : كهدف تلطيف العلاقات بين الجمهور والغابة مع الحفاظ على طابع هذا الفضاء بتجنب الإكثار من التجهيزات ومخاطر تحويله إلى حدائق.

مراكز التوعية والتربية على البيئة تذكر المستعملين بالتصرفات والسلوكيات التي تمكن من التمتع بهذه الفضاءات مع احترامها والمساهمة في ديمومتها

وتمنح هذه الإستراتيجية فرصة لإعادة تحديد المقاربات المناسبة والتهييئات التي تنتج عنها بهدف تقليص مخاطر الارتياد الجائر التي قد تهدد النظام الإيكولوجي.

التهييئات المقامة في الغابة صممت لإعطاء الأسبقية للعائلات المصحوبة بأطفالها، وهي تضم تجهيزات للّعب والتسلية مناسبة مقامة بصورة لا تهدد التوازن الإيكولوجي

إن تهيئة غابات سليمة، نظيفة وطبيعية بإعطاء الأسبقية للراجلين والأنشطة المناسبة لقدرة الغابات على تحمل الضغط ليس فقط أمرا مرغوبا.

في نفس السياق، من اللازم تنظيم ولوج العربات بكل أنواعها إلى الغابة، لأنها تعتبر مصدر مضار للبيئة الغابوية وبالنسبة للمستعملين الذين يرومون الهدوء والسكينة.

مساحات شاسعة تم تشجيرها للمساهمة في إعادة تكوين الغابات شبه الحضرية الجهوية الشاسعة

إنه بالضبط أحد المحاور التي تسعى الإستراتيجية الجديدة إلى بلورته طوال العشرية الجارية.

وهكذا، فإن تجهيزات الاستقبال ينبغي أن تنحصر في جعل المساحات الغابوية أكثر جاذبية، عبر خلق نقط تشوير، والتوزيع الحصيف للارتياد وعبر تشجيع تنمية الاستعمالات بتناغم مع خاصية هذه الأوساط الطبيعية (نزهة، مسارات بيداغوجية، ألعاب حرة، تأمل، مراجعة الدروس، إعداد الامتحانات...) والنتيجة المتوخاة من هذه المقاربة ومن التدخلات الناتجة عنها هو إحداث الظروف المثلى، سواء من أجل راحة الزوار أو من أجل المحافظة على الغابة.

ومن بين الأولويات الهامة الأخرى لهذه الإستراتيجية الزيادة في مساحات الغابات الحضرية وشبه الحضرية، الشيء الذي يتم عبر إيقاف التدهور الذي يطال الغابات الموجودة من هذا النوع، ثم عبر إحداث (أو إعادة إحداث) مساحات مشجرة حول المدينة، كما يمكننا رؤيته في الصور أعلاه.

وهذه هي الأسس التي يقترح من خلالها قطاع المياه والغابات ومحاربة التصحر إقامة ضاحية خضراء بمدننا، ضاحية مرحبة، ومصدر للفرح والسعادة لفائدة الأطفال وعائلتهم.

الحديقة المركزية، أول منتزه أمريكي من أجل الوقاية الصحية والمجتمعية

إن شهرة هذا المنتزه توازي شهرة مانهاتن، أي المقاطعة التي يتواجد فيها بنيويورك. تعتبر الحديقة المركزية مساحة خضراء حضرية على شاكلة الحدائق الكبرى في لندن وباريس. وقد كانت المبررات الأولى لإنشاء الحديقة هي التسلية والصحة، إلا أن الأمر يتعلق أيضا بإبعاد *«بعض أفراد الشعب عن الكحول، وألعاب القمار والرذائل، لتربيته على العادات الجيدة والنظام»*.

كما في العديد من الدول الأوروبية، فالمكان الذي تم اختياره كان فضاء مهملا، غير صحي ومليء بالمستنقعات، تطلب إعداده 13 سنة من الأشغال بعد اقتناء الأراضي ابتداء من سنة 1853. وقد تم لهذه الغاية، محو العديد من القرى الصغيرة (ترحيل 600 1 شخص).

تم تدشين الحديقة المركزية سنة 1873 في وقت أصبحت فيه المدينة، ذات التوسع السريع والمترامي، تحيط بها.

والشكل «الطبيعي» للحديقة هو نتيجة كونها خضعت لأشغال إعدادية هامة، خاصة لخلق بحيرات، كلها اصطناعية.

هذا المنتزه الذي يعتبر واحة خضراء، يتواجد اليوم وسط العديد من الأحياء ذات الكثافة السكانية المرتفعة. وهو يستقبل 37,5 مليون زائرا سنويا، بحيث يعتبر أعلى مستوى ارتياد الحدائق في البلاد.

وبالإمكان التحرك بسهولة في هذا المنتزه بفضل العديد من ممرات الراجلين المرتبطة بطريق طولها حوالي 10 كيلومترا تمثل حزاما للموقع، والمفتوحة لحركة السيارات. وتمارس بالحديقة رياضات ركوب الخيل، والتزحلق على الجليد، ولكن ما هو رائج أكثر هو الأنواع المختلفة لرياضة المشي التي جعلت الحديقة مشهورة، ومنها الركض الفردي. كما أن هناك سباقات غالبا محترفة، تتم في نهاية كل أسبوع. وقد تم إنشاء 21 ملعبا رياضيا على الـ 341 هكتارا التي تشكل المنتزه.

كما تحتضن الحديقة 270 صنفا من الطيور (منها طيور مهاجرة) و14 من الحيوانات الثديية. ومن ضمن الـ 250 000 شجرة وشجيرة، نجد بالحديقة أشجار الدردار الأمريكية، التي تعد اليوم صنفا مهددا، وهو امتياز مستحسن لهذه الحديقة.

مؤطر لهيئة التحرير

سيدي معافة، الغابة التي تشرف على وجدة وتضع المدينة في تماس مباشر مع الطبيعة

يوسف حموزكي
مهندس دولة،
المدير الجهوي للمياه والغابات لجهة الشرق

تمتد هذه الغابة على أزيد من 1 200 هكتار وتشكل وجهة مفضلة للأسر ولهواة الطبيعة بوجدة. لقد اكتسبت هذه الغابة بعدا تاريخيا بعد عقود عديدة من الارتياد السعيد، فهي تسكن ذاكرة العديد من سكان وجدة. وقد تعرضت للعديد من الضغوطات التي أضرت بها أحيانا، وهي حاليا في حالة إعادة التأهيل، مما يشكل فرصة لتوسيع دورها ورفع مستوى هناء ساكنتها.

يؤثر النمو الديموغرافي والتمدن السريع على المجالات الحضرية والطبيعية للمدن وضواحيها، إنها مجموعة من الآثار مع مظاهر تمدن وإعادة هيكلة ضرورية لأنسجة المدن وضواحيها.

الغابات الحضرية مهددة بتوسع المدن

لهذا التوسع دون شك آثار إيجابية على راحة فضاءات الحياة، وتسهيل التنقل وتحسين الإطار المبني والنمو السوسيواقتصادي. وحيث أنه لكل ميدالية وجهها الآخر، فإن هذه التوسعات تتم في غالب الوقت على حساب فضاءات أخرى حيوية، إيكولوجية وخضراء.
وقد تفاقمت هذه الظاهرة منذ السنوات الأولى التي تلت الاستقلال نتيجة الهجرة القروية والنمو العشوائي للأحياء الهامشية.
وفي الواقع، انتقلت الساكنة المغربية من 6 مليون نسمة في بداية القرن إلى 37 مليون نسمة سنة 2018 (حسب المندوبية السامية للتخطيط).

كما انتقلت نسبة الساكنة الحضرية من 10% سنة 1926 إلى 55% سنة 2004، ثم إلى 60% سنة 2014 من مجموع ساكنة تعدادها 33,8 مليون نسمة.

هذا المنحى سيأخذ منحا تصاعديا سنة 2022 بحصة من سكان الحواضر تبلغ 75% (من مجموع 40 مليون نسمة).

وهذه الزيادة السكانية الحضرية تطرح مجموعة من الأسئلة على صعيد الاستدامة والمحافظة على المساحات الخضراء. إنه الحال بالضبط بالنسبة لهذه المجالات التي تحيط بالمدن.

مدخل الغابة المهيأة سيدي معافة

يؤدي هذا الوضع إلى استنتاج يفرض نفسه : ضرورة المحافظة عليها واقتراح نمو معماري مخطط يتلاءم مع انتظارات الأجيال القادمة.

على مستوى عاصمة جهة الشرق، يشكل سيدي معافة، الغابة الوحيدة التي تطل على المدينة والتي بوسعها تأمين التزويد بالأكسيجين الضروري.
غير أن الغابات الحضرية فقدت العديد من وظائفها الطبيعية، خاصة أنها تمثل الملاذ الأساسي للعديد من أصناف الوحيش وبشكل أخص الطائرِ منها.

سيدي معافة، غابة صنفت محيطا ذو أهمية وطنية

بُعيد الاستقلال وحتى نهاية ستينات القرن الماضي، كانت سيدي معافة مكان النزهة المفضل للوجديين.
ففي كل يوم خميس تتوجه مئات العائلات وآلاف الأشخاص نحو ضريح سيدي معافة، على الأقدام أو بواسطة الدراجات الهوائية أو على متن العربات.

لقد كانت متعتهم قضاء فترة من التسلية في جو من السعادة والمتعة تحت ظلال الأشجار أو في سفح الجبل. لحظة من الفرحة، وخاصة بالنسبة للنساء والفتيات اللواتي ترددن أغاني من وحي اللحظة. وقد كانت النزهة في سيدي معافة تأخذ شكل أعياد، كما أنها كانت توفر لحظات الحرية بالنسبة للأطفال واليافعين الذين يرتجلون ألعابا عديدة بسيطة مثل دينيفري، حابا، كاش كاش، سابوقا، حتى نقتصر على أشهرها فقط، والتي تمنح لهذه الفسحة التلقائية طابع الحرية المطلقة.
وقد تغيرت العادات منذ ذلك الوقت، وحلت محل الاحتفالات العائلية أنواع أخرى من الأنشطة. ثم جاء دور هواة الدراجات الهوائية للانطلاق في مسابقات محلية ووطنية.
وهكذا، نظم نادي الدراجة الريفية لوجدة العديد من دورات الجائزة الكبرى الوطنية للدراجات الريفية. وقد مكنت مختلف المسابقات من جمع مشاركين هواة يمثلون مختلف مدن المملكة.

فضاء مهيأ للنزهة

كان عليهم أن يجتازوا الكيلومترات العديدة على طول مدار يضم مختلف الصعوبات. وهكذا بدأت المسابقات المنظمة تأخذ تدريجيا مكان الألعاب التلقائية. الغابة هي أيضا مكان مفضل بالنسبة للرياضيين الذين يريدون تقوية قدرة احتمالهم ويستعدون للمواعيد الوطنية والدولية، وكذا بالنسبة لهواة المشي الذين يسلكون المسارات الثلاثة الكبيرة المهيأة للنزهة والمشي.

تهيئة مسالك عريضة للراجلين داخل غابة سيدي معافة

للأسف، يجوب أرباب الدراجات النارية أيضا صباح مساء هذه المسارات ويتسببون في إزعاج الرياضيين والمشاة. والغبار الذي تسببه هذه الدراجات النارية تضر بهذا الفضاء الذي هو فضاء للسكينة والهدوء. وعلى الجهات المختصة في حماية هذه الأماكن أن تضرب بيد من حديد على المتسببين في هذه الأذية.

سيدي معافة جزء من الموقع المشجر لجبل حمرا، الذي صنف منطقة ذات أهمية وطنية سنة 1952 على مساحة 200 1 هكتار، بغاية وقاية التجمع الحضري لوجدة من مخاطر الفيضانات وعوامل التعرية. ففي سنة 1983، تم القيام بأشغال للتشجير بأصناف مختلفة من أجل إعادة تكوين الغطاء النباتي والمساهمة في حماية منشئات عمومية جديدة.

يقدم سيدي معافا مناظر خضراء واسعة

مشروع جديد لتوفير وظائف ترفيهية جديدة

في سنة 2009، تم الشروع في انجاز مشروع جديد من طرف المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر في إطار الإستراتيجية الوطنية لتهيئة الغابات الحضرية والغابات المحيطة بالمدار الحضري.

هذا المشروع يرمي إلى تحسين أنشطة الترفيه والاستقبال، والتوعية والتربية المرتبطة بالبيئة ومواكبة برنامج تأهيل مدينة وجدة.

تشمل أهم تدخلات المشروع تهيئة فضاءات لوقوف السيارات، وتجهيزات لاستقبال الجمهور والبنيات المتعلقة بالسير وعلامات التشوير.

لقد تمت إدارة هذا البرنامج في إطار اتفاقية شراكة موقعة بين المديرية الجهوية للمياه والغابات لجهة الشرق وولاية جهة الشرق، والجماعة الحضرية لأهل أنجاد وكتابة الدولة المكلفة بالبيئة.

وقد تمثلت الأشغال في إنجاز :

- 50 هكتار من التشجير ؛
- إعادة الاعتبار لـ 4 000 متر خطية من المسالك الغابوية ؛
- افتتاح 1 500 متر خطية من المسالك الغابوية ؛
- وضع سياج طوله 400 متر ؛
- إقامة 30 طاولة - كرسي و20 منضدة بمسند ؛
- تهيئة 5 000 متر^2 لاستقبال أحواض رمل، و8 حلبة للألعاب و15 جهازا رياضيا ؛
- 25 لوحة تشوير، و10 سلال للنفايات وكشك للإعلام.

بما أن العديد من هذه المنشئات قد تعرضت للتلف والتدهور مع مرور السنوات، فهناك عمليات أخرى، أكثر طموحا، ستهم خلال سنة 2022، مسارات للراجلين والتجهيز بالأثاث الحضري ولوحات للتشوير والتوعية وإنجاز مسالك (تصل إلى ارتفاع 854 متر) والتنظيف والحراسة، الخ. ستنطلق عمليات التهييئ في إطار شراكة بين قطاع الماء والغابات وولاية جهة الشرق ووزارة البيئة والجماعات الترابية.

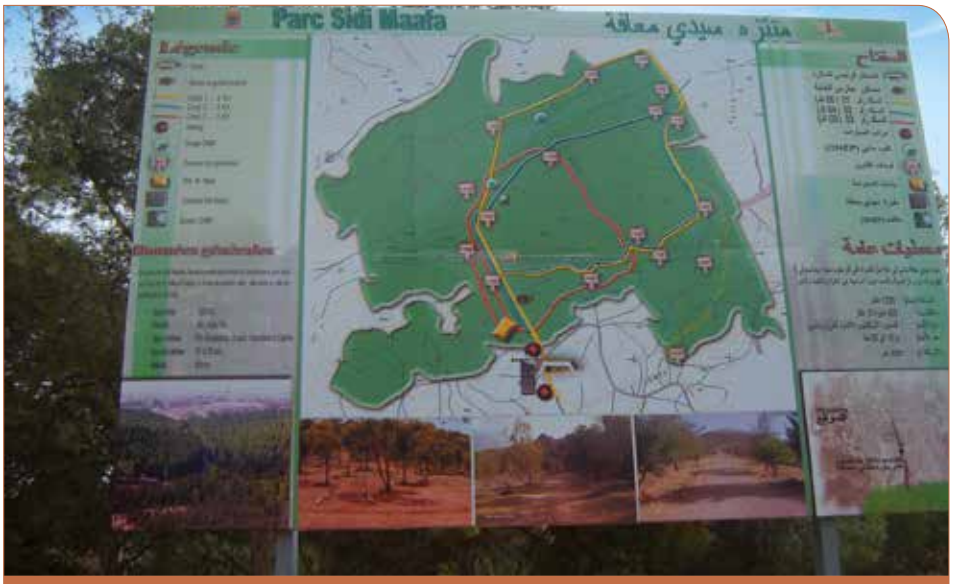

وسائل تشوير ملائمة للنزهة

منتزه كْيل المدينة - الحديقة التي أصبحت منتزها : عمل خيري مستنير حول مهندس معماري استثنائي

أراد المحسن أوزبي كْيل بناء مدينة - حديقة فاتنة على مساحة 17,2 هكتارا، تضم 60 منزلا، كنيسة صغيرة وسوقا... ولكل التكلفة سرعان ما أصبحت باهظة، فتم فقط بناء 4 منازل والحديقة من طرف المهندس المعماري الكاتالاني الشهير أنطوني كْودي.

وقتها، كان الموقع، وهو ربوة شرقية منعزلة في الشمال الغربي لبرشلونة ويوفر منظرا رائعا على المدينة. وقد استمرت الأشغال من 1900 إلى 1914.

في سنة 1923، اشترت المدينة الموقع كله وفتحته للعموم سنة 1926. وقد صنف الموقع تراثا عالميا للإنسانية من طرف اليونسكو سنة 1984، وبذلك استفاد من حوالي عشر سنوات من الترميم، وخاصة بالنسبة للخزف، وكِسارات الأواني الخزفية والزجاج الملون، التي تستعمل في آن واحد على البنايات وعلى الأثاث الحضري بما فيها النافورات.

ويحيط بيتان على شكل فطري بمدخل المنتزه، حيث تم الاحتفاظ بالتضاريس الأصلية. وتتميز كل الإعدادات بشكلها المقوس، مندمج مع حركات الأرض. وقد طبع المهندس المعماري تصميمه بالعديد من الرموز، فهناك مثلا تنين يزين النافورة الأكثر شهرة بالمنتزه.

وكمكون أساسي للتهيئة، فإن «ساحة الطبيعة»، التي صممت على شكل أغورا يونانية عتيقة، تضم أطول مقعد في العالم بـ 110 متر.

حينما نجلس على إحدى جنباته، نجد أنفسنا في نفس الآن في فضاء حميمي، منفتح على الجوار، وأيضا على الساحة الواسعة التي كان مقررا في السابق بأن تأوي سوقا.

وقد أعدت كذلك قناطر للراجلين لتسهيل حركة السير، كما يمكن أيضا زيارة المنزل - المتحف لكْودي، الذي عاش فيه هذا الفنان المبدع بين سنتي 1906 و 1925. وهو يستقبل سنويا 9 مليون زائر.

مؤطر لهيئة التحرير

واحة وبساتين فكيك : أخضر مرتب وأصفر ذهبي من أجل الإغواء

جمال حدادي
أستاذ باحث،
كلية الآداب، جامعة محمد الأول، وجدة

بفكيك كما بالواحات الأخرى، تشمل كلمة «بستان» مفهوما مختلفا جدا عن ما هو عليه الحال في الفضاءات الحضرية للمناخات المعتدلة. هذا المفهوم يتعايش هنا مع غرس عتيق هو النخيل، الذي يقيم معه تكاملا وتعاضدا يجعلان حياة السكان ممكنة بل وجذابة. وإلى جانب كونها فضاء للمتعة ومساحات لإنتاج القوت اليومي، فإن بساتين فكيك تعد، إلى جانب جمالها، ضرورية.

عبر الطريق الوطنية رقم 17، انطلاقا من وجدة ثم بوعرفة، كل شيء يبدو متشابها إلى غاية تخوم جنوب - شرق المملكة.

تدبير هذه الأنظمة الإيكولوجية يروم راحة البشر

بين جبلين، تبرز مدينة فكيك كصومعة وتزدهي بكونها توفر جوا من الطراوة تقويه الخضرة المحلية. الأولى حققها الإنسان انطلاقا من مواد أولية محلية صرفة، وهي تمنح المدينة لونها الذهبي والمريح. والثانية تتجسد عبر الاقتران الرائع بين ألوان المزروعات وألوان أشجار النخيل. ويطغى على المشهد اللون الأخضر، بمستوياته المتعددة.

إنها واحة النخيل، هذا المكان السحري، الذي يعتبر أقرب واحة لأوروبا، فضاء يمتد إلى حد البصر ويخول للقصور السبعة للمدينة - الواحة، خصوصية طافحة (قصر لوداغير، قصر لعبيدات، قصر ولاد سليمان، قصر الحمام الفوقاني، قصر الحمام التحتاني، قصر المعايز وقصر زناكة). ويتم الاعتناء بالنخيل بصورة منهجية ومنها تمتد كل البقع الفلاحية، والساحات العمومية الصغيرة، والتصفيفات الشجرية المخصصة لزراعة النخيل ولتجميل المدينة.

وبالتالي، فإن كل الأنشطة البشرية تتم على إيقاع ترتيب أشجار النخيل المختلفة وجريان الماء الذي يسقي الأرض وينعش الإنسان. تحت أشجار النخيل، رتب سكان فكيك تصاميم سكناهم وتعميرهم.

زراعات معيشية في السفح وتحت ظل النخيل

فهنا ينظمون أفراحهم ويحيون ذكرياتهم : حفلات القران الكريم، العقيقة، الختان، الأعياد الدينية وغيرها.

وانطلاقا من ثمار ومواد أخرى ناتجة عن هذه الأشجار، تطورت ثقافة مطبخية وتجارية وزراعية ومعمارية وتزيينية، لتمنح للمدينة بعدها كمدينةٍ - مُرج مخضرة وسط اكراهات مناخية كبيرة.

وفي غياب فضاءات ملائمة وسط القصور، لإنشاء مساحات خضراء بأعداد كبيرة، اعتمد أهل فكّيك على غريزتهم المهارية الطبيعية التي أصبحت سائدة محليا لانجاز بساتين مغلقة داخل فضاءات ضيقة ضمن تجمعات النخيل، وهي بساتين على شكل بقع محمية مخصصة لمختلف الزراعات المعيشية، وللأعشاب الطبية والعطرية وبعض الزراعات التزيينية.

تعد جهود بستانيي فكّيك من أجل الحفاظ على التنوع البيولوجي جهودا أسطورية. ويتحمل حراس الإرث الثقافي لفكّيك دورا حاسما في استدامة الأنظمة الواحاتية وفي تنمية ثرواتها الطبيعية. مما يدل على التزام المجتمعات المحلية في الحفاظ على الأنظمة الإيكولوجية.

من جهتها، وضعت السلطات المحلية ووزارة الفلاحة برامج للمحافظة على الغطاء النباتي سواء في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية أو في إطار مخطط المغرب الأخضر.

تدبير الأنظمة الإيكولوجية الواحاتية ورغد العيش

علاوة على كل ذلك، فإن حقينة السد المنجز مؤخرا تهدف إلى المحافظة على المورد المائي المتوفر مع حث سكان المدينة على تنمية ممارسات جديدة أقل استهلاكا للماء ولكن ذات آثار محمودة على التنوع البيولوجي داخل وخارج البيوت.

إن برنامج غرس مادتي الكمون واللوز، الذي انطلق سنة 2017 ليس له فقط غاية زراعية. فهو يصلح أيضا لتنويع الغطاء النباتي للواحة، وبالتالي إضافة تلوينات جديدة أخرى للتشكيلة المحلية الحالية، خاصة في فترة الإزهار، أي في الأيام الأولى لفصل الربيع. وهذا ما مكن العديد من الباحثين الجامعيين من التأكيد على خصوصية يعتبرونها أساسية لتقييم المجالات الواحاتية، ويتعلق الأمر بـ «بساتين الصحراء» المنشأة على أنظمة إيكولوجية هشة ولكنها مقاومة بفضل مهارة السكان المحليين في مجال ترميم المساحات الواحاتية، والاقتصاد في الماء والتدبير المستدام للموارد في وسط قاحل.

جريان الماء وتوزيعه : نظام معقد من أجل تدبير متوافق عليه

إنه الحال بالنسبة لكل واحات المغرب التي اختارت الارتقاء بمؤهلاتها الإيكولوجية.
فتدبير هذه الأنظمة الإيكولوجية الواحاتية يمنح الأولوية لرفاه الإنسان، من أجل تحسين وسائل العيش، وتقليص الفقر والهشاشة، ولكن أيضا من أجل تعزيز التنوع البيئي عبر التدبير العقلاني للموارد في وسط قاحل.
لقد أنشئت بساتين فكّيك من طرف الإنسان في وسط لا تتعدى فيه التساقطات المطرية سنويا 150 ميليمتر مع نسبة تبخر مرتفعة جدا، وضغوط بيئية وتناقص حاد في الموارد المائية والجفاف وتآكل التنوع البيولوجي.
هذا الأمر يؤكد أهمية بساتين فكّيك في تثبيت الساكنة الهشة في مواطنها وفي محاربة الهجرة القروية. وهناك مشاريع من النوع الزراعي - التزييني الإيكولوجي بوسعها الارتقاء بالجاذبية الواحاتية، وتشجيع التنوع الزراعي ومواكبة الفكّيكيين في التحدي المستمر في مواجهة طبيعة تتزايد هشاشتها يوما بعد يوم.

تراث معماري وطني

تعتبر واحة فكّيك تراثا معماريا وطنيا. لقد كان كل قصر مكونا من مجموعة اجتماعية وسياسية وأحيانا عرقية، ترتبط بنفس المصالح فيما يخص استغلال الأرض بغطائها النباتي. وقد أنجز هذا التراث المعماري والطبيعي بواسطة مواد وتقنيات محلية (لبنات من الأتربة المجففة، خشب النخيل، مادة الجير).
وخصوصيات البناء بواسطة عناصر طبيعية تصنف فكّيك ضمن المدن الصحراوية التي حافظت على موروث طبيعي ومشهدي متميز. ويكفي للتأكد من ذلك التجول عبر أزقة وساحات القصور الصغيرة، مدينة متاهة مكونة من تراب وجدع نخيل، حيث الظل والنور يتلاقيان في تناغم كبير.
ويتم بناء أسقف المنازل عبر وضع قشور وأجزاء من الجدع (تزيدين). تقطع هذه المواد من جذع الشجر بحيث تأخذ شكلا مقوسا. ويوفر جذع نخلة واحدة أكثر من أربعة «تيزيدين» حسب قطره وطوله.

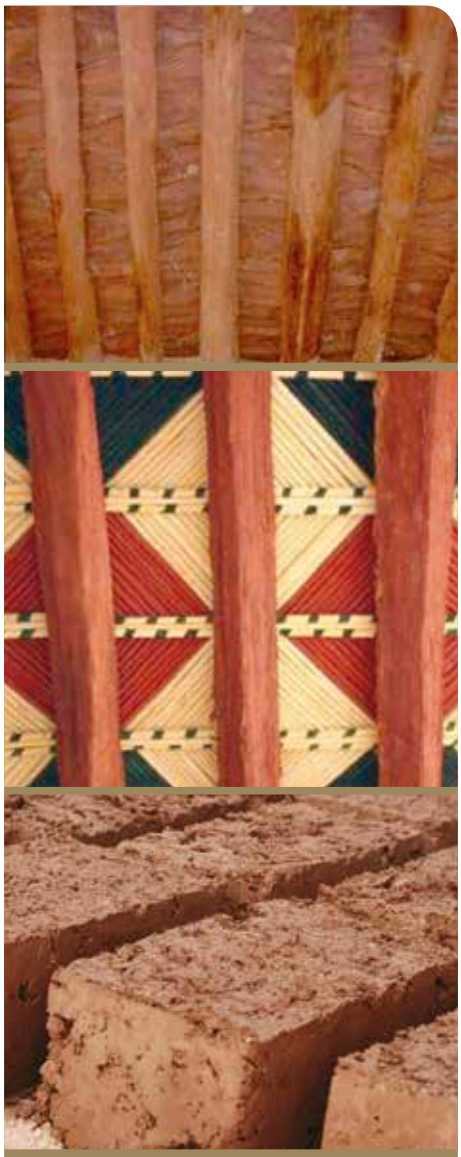
بعض مواد البناء المحلية

يتم الحصول على القشرة أيضا من النخلة، حيث يتم اختيار القشرة الأصلب واستبعاد القشور التي نالت منها الحشرات. والقشرة ليست مسطحة تماما : فظهرها هو على شكل سقف. هذا الجانب لا ينبغي أن يظهر من تحت، فهو يكون إذا مغطى بالتراب.
أما الوجه الثاني، فهو تقريبا مسطح وينبغي إعداده قليلا لتسويته تماما حتى تتمكن القشرة من الاستقرار على «تيزيدين».
يستفيد بناء هذه البيوت ذات الأسقف الخضراء من التعايش الرائع بين النخل والطين، وقد أدهشت هذه التقنية العديد من المهندسين المعماريين والفنانين كما يتبين ذلك عبر العديد من المقالات العلمية المنشورة.
والأزقة مصممة بشكل يحد من قوة الريح، ويحافظ على طراوة الفضاءات المغلقة ويجعلها بالتالي أكثر ترحابا. والأسقف مكونة انطلاقا من أسطوانة مكونة من أجذع الشجر وسعف الدفلى أو الرند. ومواد البناء الأخرى هي أيضا أساسا طبيعية، ومنها نوع من السعف. يستعمل الحجر كأساس في قاعدة الجدران لحمايتها من المياه الباطنية.
ومن جانب آخر، فإن نظام سقي البقع المبستنة بلغ مستوى من الدقة والكمال إلى حد أنه أصبح نموذجا لحسن تدبير السقي بالبقعة. وقد أخذ مفهوم التضامن المائي الهادف إلى توزيع أفضل للموارد من المياه الباطنية شكله المتكامل بفكّيك.

مجموعة من البساتين الصغيرة

حدائق قصر الحمراء، إشراق أندلسي تركة وجود حضاري إسلامي طويل

يعود مجموع هذه المعلمة إلى حقبة حكم الأسرة الناصرية التي لم يفتأ ملوكها المتعاقبين على توسيع وتهيئة قصورها وحدائقها. وقد بلغت الإنجازات أوجها في القرن الرابع عشر، وهي الفترة التي شهدت إنشاء المناطق المهيئة التي نزورها اليوم.

فداخل الأسوار التي تحيط بالموقع، يمكن الولوج إلى الحدائق عبر القصور المحاذية أو عبر مدخل مباشر. وتوفر هذه الحدائق مشاهد رائعة للمدينة. ومن أجل التكيف مع انحدار الأراضي الطبيعية، تمت إقامة حدائق على مستويات متدرجة، تفصلها سلالم وتعريشات.

ويعد «برج السيدات» دون شك الصرح الأكثر إثارة، حيث ينعكس الرواق ذو الأعمدة والنخيل المحاذي في حوض صمم بدقة كبيرة لهذه الغاية. ويعتبر موقع قصر الحمراء المكان الذي يستقبل أكبر عدد من الزوار سنويا بإسبانيا يفوق ثلاثة ملايين زائر.

إن التحكم في الماء هو ما مكن من إنشاء هذه الحدائق. وهو إنجاز باهر في هذه الأرض الأندلسية القاحلة. بالنسبة للبعض، فالأمر يعكس الرغبة في خلق فردوس مستعار يُعبر عنه بهذا المكان.

ويتم استنفار كل الحواس هنا : النظر (الألوان، الظل والضوء)، الشم (النباتات العطرية، روائح الزهور)، السمع (خرير المياه)، اللمس (تراكيب المواد) والذوق (الفاكهة).

تزود مياه الجبال التي يتم نقلها عبر قنوات، مصممة ببراعة، مختلف أنواع الأحواض والنافورات، والشلالات الصغيرة وكذا بالطبع النباتات.

ويكسو الكل، خارج الأسوار رداء أخضر على سفوح الروابي، لتشكل خلفية، وتنشيطا للمناظر الجميلة، تبرز ذكاء وأناقة هندسة الحدائق.

مؤطر لهيئة التحرير

هدف واضح ببركان : تخصيص 355 هكتار للمساحات الخضراء

حورية المديوني
رئيسة مصلحة البيئة والاستراتيجيات
وبرامج التنمية – عمالة إقليم بركان

بعدما كانت لفترة طويلة تستكين لرخاء فلاحي يستند على أراضيها الغنية والملائمة للزراعات (وخاصة منها الموجهة للتصدير)، تشهد بركان حيوية وتحديثا يهمان أيضا جانبها الحضري. وتواكب تهيئة المساحات الخضراء المتنوعة الإطار الجديد للعيش بهذه المدينة.

لا يقتصر التأهيل الحضري لبركان على تدعيم البنية الأساسية وعلى تهيئة أحيائها وشوارعها.

الشوارع والساحات العمومية : تجهيزات جديدة تم إنجازها

إنها أيضا إيكولوجية وبيئية، غايتها في النهاية عصرنة المشهد الحضري وتحسين مستوى جودة الحياة. ومن أجل ذلك، فإن العاصمة الفلاحية لجهة الشرق تلتزم بتحسين الفضاءات العمومية وتزويد مجموع أحياء المدينة بمؤهلات إيكولوجية.

وهذا الأمر يتطلب مقاربات جديدة في مجال الارتقاء بالنقط السوداء، وبالفضاءات المهملة وبالأماكن المحتلة بصورة غير شرعية.

باختصار، يتعلق الأمر بتنقيح كامل للمقاربات والاستراتيجيات الحضرية التي ينبغي تبنيها، مع إعطاء الأولوية لتخفيف الضغط على مركز المدينة، خاصة ببرمجة :

- إنجاز محاور جديدة ومداخل للمدينة ؛
- إحداث طريق مدارية بطول 14 كيلومتر ؛
- فتح شوارع جديدة ؛
- إحداث وتهيئة ساحات عمومية وإنجاز مساحات خضراء جديدة.

ويهدف هذا الورش الكبير التأهيلي متعدد القطاعات، في السافلة، إلى تحسين حركة السير، وعصرنة المشهد الحضري وتحسين جودة الحياة.

كما أن هذا الورش يرمي إلى :

- إحداث ساحات جديدة متميزة للترفيه ؛
- تهيئة الكورنيش على جوانب الواد الذي يعبر المدينة ؛
- تهيئة الساحات العمومية الموجودة كما وقع بالنسبة لساحتي محمد السادس والمسيرة، وكما هو مقرر بالنسبة لساحة مراكش مستقبلا.

مغروسات قديمة في فضاءات أعيدت تهيئتها

أولويات الاستدامة والبيئة والإيكولوجيا

يُبدع إقليم بركان أيضا في مجال تدبير النفايات المنزلية والمشابهة عبر إعطاء الانطلاقة لتجربة نموذجية في مجال محاربة تكاثر النقط السوداء.

وتتكفل شركة التنمية المحلية التابعة للإقليم بتدبير العديد من الخدمات الجماعية، ومنها تنظيف الطرق والساحات العمومية، وجمع النفايات المنزلية والنفايات المماثلة، وكذا إجلائها نحو مطرح النفايات الجديد.

وسيوفر مشروع يجري إنجازه أرضية مخصصة للانتقاء والتقييم على أساس معالجة تأخذ بعين الاعتبار الاعتبارات الإيكولوجية.

تضفي المشاريع الجديدة على المساحات الخضراء الجديدة طابعا فخما وتراثيا

أعيدت تهيئة الساحات الصغيرة ومفترقات الطرق، هنا بحي بوكرة، في الأعلى، وحي الليمون، في الأسفل

وسيدعم هذا العمل المجهود المبذول لضمان خدمات ذات جودة لسكان المدينة. ويركز المشروع على تحقيق أربعة أهداف رئيسية :

- التعرف على المشاكل الحضرية ؛
- معالجة هذه المشاكل ؛
- المساهمة في تغيير ذهنية كل المتدخلين والساكنة المستفيدة ؛
- تنظيم الأنشطة المناسبة.

وقد تطلب هذا السعي اللجوء إلى الطائرات الصغيرة بدون ربان لتحديد الصعوبات التي ينبغي معالجتها، بدقة، وبخاصة السياسات التي ينبغي نهجها. وتبقى حماية الملك العمومي رهينة رؤية عمرانية جديدة بمخطط مديري للسير وللمساحات الخضراء. وهو يفرض أيضا تحقيق توازن بين معدنية الصخور والنبات على مستوى حوافي واد شراعة.

هذا التصميم البيئي الجديد يتمحور حول ثلاث فضاءات طبيعية : محيط وديان شراعة وورطاس، والغابة الحضرية لسيدي سليمان، وجنبات الطريق المدارية لبركان على حوالي 30 متر. وتُظهر خرائط المساحات الخضراء بأن نصف المدينة لا يتوفر على مساحات خضراء، وهو اختلال يسعى التصميم الجديد إلى وضع حد له، خاصة بواسطة برنامج لتخفيض الكثافة. وهو يقترح أيضا تقنيات نوعية للمحافظة على التنوع البيولوجي. وهكذا، فإن الصيانة وتحسين التراث النباتي للمدينة يتم عبر ثلاث مراحل :

- صيانة الأنواع الموجودة ؛
- غرس أنواع جديدة ملائمة لظروف المواقع ؛
- الرعاية المنتظمة وتحسين الجانب المشهدي.

355 هكتار من المساحات الخضراء ينبغي تهيئتها ورعايتها

موازاة مع هذه الجهود، أصبحت بركان تتوفر على قرابة 15 فضاء للحفاظ على اللياقة البدنية مجهزة بعشر أجهزة ومعدات أخرى لكل فضاء.

هذا النوع من المعدات المتعلقة باللعب سيساهم في الارتقاء بالفضاءات المجاورة وكذا في وقاية الجوار والزوار لأنها ستظل محروسة طول الوقت. وقد تطلبت هذه المؤهلات الجديدة للجاذبية استثمارا بلغ 14,6 مليون درهم.
وقد مكن استثمار مماثل من إنجاز :

- 13 تنقيبا مائيا، وحوض لجمع الماء ومحل تقني ؛
- 313 77 متر خطي من أنابيب السقي ؛
- تزويد مساحة 11 هكتار بالعشب الأخضر ؛
- غرس 017 2 نخلة، و987 4 شجرة من مختلف الأصناف (ومنها الأوكاليبتوس لتعويض الأشجار القديمة لمنتزه اللقالق من أجل تعشيش هذه الطيور)، و670 22 غرسة مقاومة وزهرة موسمية.

وتناهز مساحة مجموع الفضاءات الخضراء الموجودة 33 هكتارا في حين أن المساحة المقرر إنجازها تبلغ 322 هكتار.
وبالتالي، سيرتفع مجموع المساحات الخضراء التي ستتم تهيئتها ورعايتها حسب دراسة أطلقتها الوكالة الحضرية لجهة الشرق 355 هكتار.
لقد تكرس التوازن بين الشكل المعدني للصخر والمادة النباتية المزينة ابتداء من سنة 2020 بإيعاز وتحفيز من السيد محمد علي حبوها، عامل إقليم بركان، الذي يعمل من أجل تحويل ربع مساحة المدينة إلى مساحات خضراء.

تفكير حضري جديد قيد التنفيذ

تشكل ثلاثة نقط مركزية حجر الزاوية للمقاربة الإيكولوجية : كورنيش الرياضة على ضفاف واد شراعة، و«ضفاف» في محيط واد ورطاس والغابة الحضرية سيدي سليمان شراعة.
ويتم تدعيم المجموع بحزام أخضر يبلغ طوله 14 كيلومترا ينطلق من حي بوهديلة بالضاحية إلى حي الزلاقة ورطاس، وكذا ببناء طرق وتهيئة أرصفة، وإحداث فضاءات للنزهة ومساحات خضراء وتوفير الإنارة العمومية.

تندرج هذه البرامج في إطار تقييم محيط الأنهار الحضرية وفق الاتفاقية المتعلقة بسياسة المدينة (للفترة 2019-2022). ويتم انجاز هذه البرامج وفق مقاربة عرضانية ينخرط فيها العديد من المتدخلين بغية ضمان نمو حضري متناغم : هذه المشاريع تنجز في إطار شراكات بين المديرية العامة للجماعات الترابة (وزارة الداخلية)، ووزارة إعداد التراب الوطني، والتعمير، والسكنى وسياسة المدينة، وإقليم بركان، وجماعة بركان ومؤسسة العمران.
ويروم تعدد الشراكات إلى توفير أقصى حظوظ النجاح لبرنامج رصدت له ميزانية 500 مليون درهم.

وتعيد المدينة النظر أيضا في هذه الفضاءات العمومية وتحولها إلى مكان ذي جاذبية حضرية.
إنه الأمر بالنسبة لساحتي محمد السادس والمسيرة، اللتان تطلب ورش تجميلهما 60 مليون درهم. كما مكنت إعادة الاعتبار للمساحات والمشاهد الحضرية أيضا من تحويل سوقين غير مهيكلين إلى أماكن للفسحة والترويح عن النفس. وقد أصبح بوسعها احتضان أمسيات فنية ومسابقات للشباب وحفلات شعبية. وعلى غرار ما يعرف بأثر الدومينو، فإن ذلك سيكون له وقع مباشر على القيمة العقارية للأحياء المجاورة.

الملاجئ، والحدائق الصغيرة والساحات الصغيرة أصبحت مغروسة ومصانة، كما تمت تهيئة ممرات ومسالك

بمجلة

ORIENTAL .MA

تساهم وكالة جهة الشرق في تكوين وتداول المعرفة

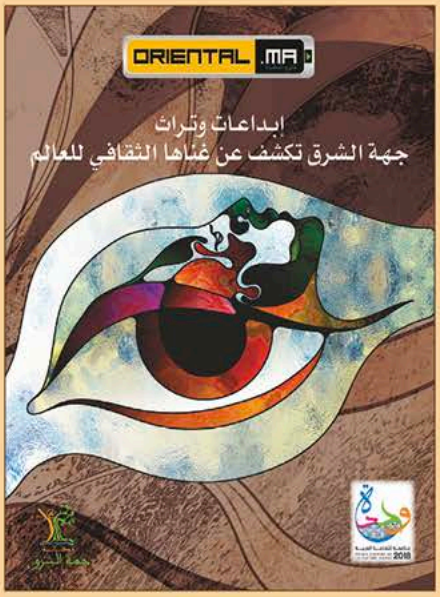

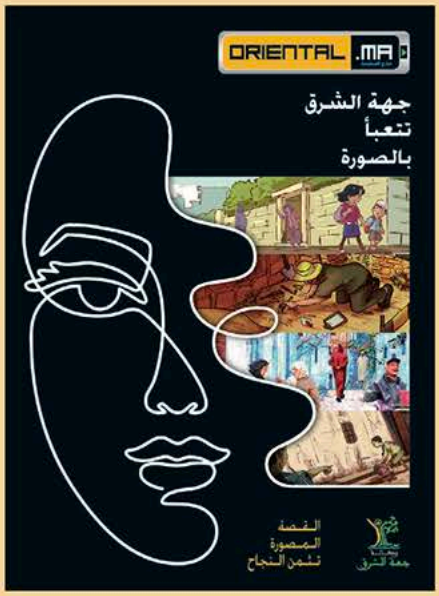

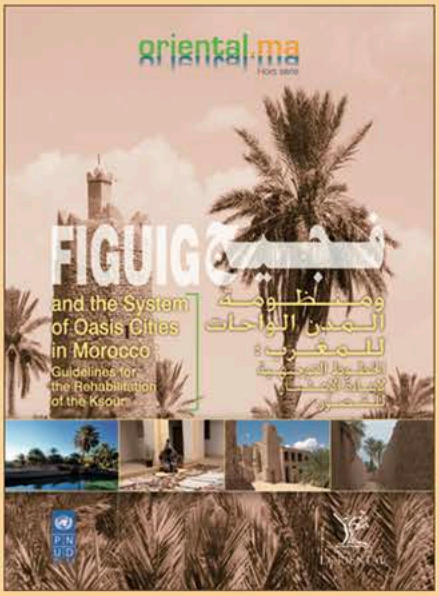

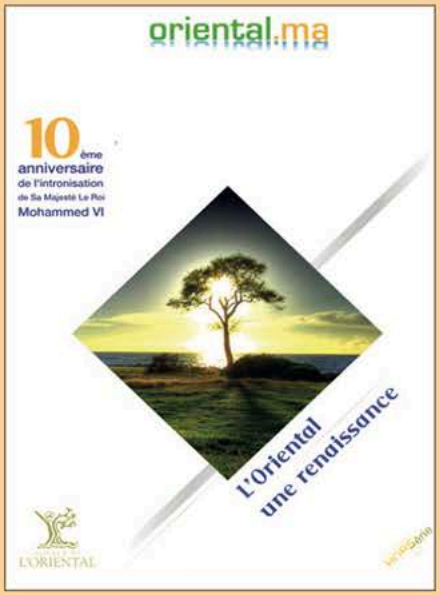

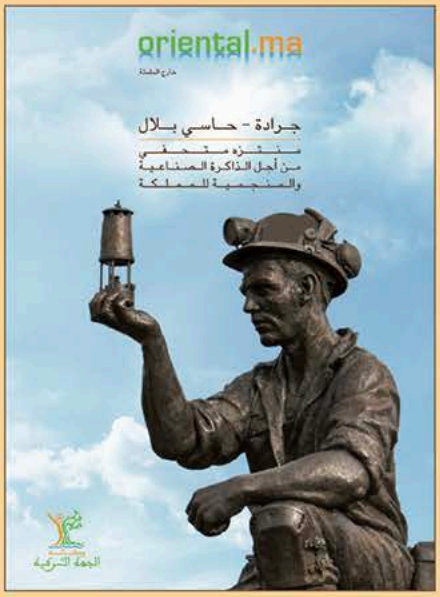

يمكن الإطلاع على كل منشورات وكالة جهة الشرق على www.oriental.ma

خارج السلسلة